

رواية

# در اجبات شيطانية

أحمد فتحى رزق

## مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى

الكتاب : مداعبات شيطانية

المؤلف : أحمد فتحي رزق

تصنيف الكتاب : رواية

تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم

المقاس ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع : ١٠٢٩٧ / ٢٠١٦

التراقيم الدولي : 7 - 239 - 776 - 977 - 978

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

## إهداء

إلى حسن الذى لا نعلم مكانة .  
وفاطمة التى لا تغيب عنا حتى فى ذكراها

obeikandi.com

## مقدمة

تتمثل أحداث الرواية فى التمسك ببعض الخرافات والأساطير دون إمعان النظر فى طبيعة المشكلة، أو مغافلة النفس عن السير نحو الأخذ بالأسباب كما أمرنا الله تعالى وسنن الحياة الكونية.

والشخص تتعدد فى أزمنة مختلفة تمتد لعقود طويلة رغم الشعور بتطور الأحداث المتسارع. ومتابعة الأحداث السياسية بعيدا عن صلب وجوهر الموضوع، والتي أرغمت بطل روايتنا على التصديق بوجود الخرافة ومحاولة مسايرتها وفق مصالحه خوفا من الخروج على هامش المجتمع دون تحقيق أية أهداف من الحياة.

obeikandi.com

## الفصل الأول

تتردد فاطمة بين الشباك والبلكون والمشربية بعد خروج والدها مع أخويها محمود وإبراهيم للعمل في وكالتهم بمنطقة الغورى. كان البيت عجيبا فى بنائه إذ ترى الناس يمرون من تحت منزلها وكأنها تسكن كوبرى علويا فى أحد الميادين. تفرح كثيرا عندما ترى الشيخ رجب وهو ينادى على الفول والبليلة وتجرى بسرعة لأمها: عايضة بليلة يا أمى. وكانت تعطيها النقود وتنزل مسرعة للحاق بعم رجب.

— عم رجب عم رجب بنكلة بليلة وفول وكل حاجة لوحدها.

— من عينى يافطومة، أبوك كويس يابت وأخواتك، يارب أشوفك عروسة.

وانخلعت والحياء يكسو وجهها دون أن ترد مسرعة نحو باب المنزل: مع السلامة.

صعدت السلم الضيق والفرحة تغمرها بما احتوت يداها  
من أطيب الطعام، ودقت الباب، ودخلت.

— البليلة السخنة والفول اللذيذ قرب قرب.

وفزعت الأم من ثورتها:

— إيه يابت ماتهدى شوية هتصحى أختك زينب، وعزيزة  
رايحة المدرسة كمان. تعالى ع المطبخ.

— يأمى أنا عايزة أروح المدرسة زى عزيزة اشمعنى أنا  
وزينب شكلها كدة مأبدة ف البيت. والنبي والنبي طب  
والست فاطمة النبوية تكلمى أبويا وأخواتى.

بصرخة شديدة:

— قلتلك انك لازم تقعدى فى البيت عشان تساعدينى فى  
خدمة رجالتنا. الله يعينهم ويقويهم.

— خلاص مش واكله ولاعايزة أى حاجة منكم. بكرة ييجى  
ابن الحلال ويخلصنى م العيشة الزفت دى.

الأم:

— يسمع منك ربنا ونرتاح من زنك.

انخرط الجميع فى طقوس الحياة اليومية المنزلية ونزلت  
عزيزة للمدرسة رغما عن رغبة فاطمة تحت شعار اشمعنى  
هى واحنا لأ.

وحان وقت الغذاء والمعلم عبد الجواد ذو الأصل التركى والوجه  
الأبيض المضى، فقد كان محسودا من حسن طلعتة وهيبته دائما.  
تناول الجميع الطعام فى الغرفة المخصصة لذلك، وذهب  
الأب لغرفة نومه لقيلولته، ولحقت به الست نفيسة الوالدة الأم.  
وتحدث الرجل:

— خالك عبد الحليم جانى النهاردة الوكالة وطلب إيد  
البت فطومة لواحد بيشتغل عنده فى المحلات وبيقول  
كسيب وابن ناس طيبين من الحدايق وأبوه راجل على  
قد حاله كدة عامل فرشة بطاطس وطعمية فى الميدان  
ومستورين والحمد لله، وباين كدة فلوسهم حلال.

وأكمل الرجل برغم دهشة الأم:

— بس أنا برضة مارضيتش أديله كلمة، قلت لما أشوف  
رأى البننت وأمها واخواتها. انتِ بقى إيه رأيك؟  
الأم:

— الرأى رأيك ياسى عبمجيد انت عارف مصلحة البت  
أكثر منى. بس برضة نسألها. ولا إيه رأيك؟  
الأب:

— طبعا لازم ده جواز وعيشة طول العمر. لما نقوم يحلها  
الحلال. يلا ياولية تعالى ف حضنى. زهرى تاغبنى  
شوية النهاردة وإيدك شفا.

وبعد أن أسلما نفسيهما للنوم فزعا على صوت جلبة فى الشارع  
وصوت مذياع لخبر رحيل الملك وقيام حركة الضباط الأحرار.  
نهض الرجل مفزوعا يلتم ملابسه المبعثرة من على  
السرير النحاسى الأصفر:

— قومى ياولية خلاص ربنا حقق الأمنية وهنبقى جمهورية.

أهملته قليلا مستغرقة فى نومها وسباتها العميق.

نزل إلى الشارع وكأنه مصرى خالص، وفرح كما فرح  
الكثيرون بقولتهم. تحيا مصر. تحيا مصر. عاش الضباط  
الأحرار لسنا عبيد إحسان الباشاوات والأغاوات. الحمد لله  
ناصر الحق.

وجاء صوت أنور السادات مدويا عبر الإذاعة المصرية  
وإعلان محمد نجيب رئيسا للجمهورية.

وبعد أن أخذت الأحداث مجراها وهدأ الجميع ورحل  
الملك واطمأنت مصر لمستقبلها جاءت قرارات التأميم صاعقة  
على البعض منهم، وإن كانوا لا يجدون قوت يومهم، وهذا  
العريس المنتظر لفتومة والذى يعمل لدى إحدى الجمعيات  
الأهلية لصناعة الموبيليا والديكور وقتها، فقد أوشك على  
سحب خطبته من ابنة الصون والعفاف ابن أخت سيده فى  
العمل وصاحب الفضل عليه فى أمور كثيرة، وأقبل على

الرجل طارحا له الحقيقة بأن ظروفه الآن لا تسمح وعمله معه فى المعارض لا يكفى لفتح بيت وإنجاب الأولاد، وكان يعتمد على مرتبه من جمعية الأثاث بجانب ما يحصله منه.

واقترح عليه الحاج عبد الحميد النزوح معه لإحدى المحافظات القريبة من القاهرة حيث العمل والتجارة أفضل فى هذا الوقت حيث ضجيج الثورة والمدينة التى لن تهدأ قبل أعوام. وتركه يأخذ وقته الكافى من التفكير.

وبعد صلاة جمعة أحد الأيام فى مسجد سيدنا الحسن، وبعد دعوات وابتهاال إلى الله بالتوفيق ذهب مسرعا ليخبره بعقد العزم على الرحيل معه شريطة أن يأخذ فطومة معه ويتما الزواج قبل رحيلهما.

وذهب بمفرده مع الأب الروحى له الحاج عبد الحليم وبصحبه أخت له وخاتم الزواج ومبلغ المهر الذى لم يكن يتعدى المئة جنيه يومها.

وبرغم أن فرح فطومة كان كبيرا إلا أنها كانت حزينة لبعدها عن أمها وإخوتها وقاهرة المعز التى تمتعت بطفولتها

بها فى ساحة الحسين والأزهر والغورية وخان الخليلي، ومنزلهم الذى يشبه المركب التى تسبح فى الفضاء وعم رجب والبت زوبة وحب العزيز والدوم والحرنكش وغزل البنات. فقد كانت تظن أنها ذاهبة للأرياف، فطمأنتها والدتها بأنها ذاهبة لمدينة صغيرة كالقاهرة وهى سياحية أيضا يحضر لها الأجنب من كل صوب واتجاه للتمتع بالشمس ومياه البحيرات الطبيعية التى تمتد لمساحات كبيرة منها. وطمأنت فاطمة وشرعت فى تجهيز أشياءها الخاصة التى أصرت على تجهيزها من شارع الأزهر كبنات القصور والباشاوات، واكتملت باقى التجهيزات للزفاف. وحسب الموعد المتفق عليه تم عقد القران فى مسجد الإمام الحسين لينال الجميع بركة حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستأجر الحاج عبد الحلیم السوارس للوصول لمحطة مصر ليستقلا القطار ولينتقل هو وفاطمة وأمها وفهمى وأخته إلى بيت الزوجية المعد والمفروش سلفا فى تلك المدينة القريبة من القاهرة. كانت الشقة فى المنزل المجاور للحاج عبد الحلیم وكانت بالدور الأرضى وقريبة أيضا من أحد مساجد العارفين بالله من

الصوفية، فلم تشعر فاطمة بوحشة كما كانت متوقعة. ومر الأسبوع الأول من الزواج فى سعادة غامرة للطرفين. وكان الزوج دائما يحاول سد فراغ البعد عن عائلتها لكى لا تشعر بوحشة. وخرج فهمى للعمل وكان مبتسما ضاحكا دائما ووجهه ممتلئ بالبشر والأمل فى التفوق وإنجاب الأطفال بسرعة كما هو متبع فى عائلته.

ويعود فترة العصر ليتناول طعام الغذاء ويستريح قليلا حيث مشقة العمل والمسئولية تجاه والده الروحى عبد الحلیم التاجر الميسور الحال فى القطن وتجهيز العرائس والتنجيد وخلافه لأهل البلاد الريفية المجاورة للمدينة.

ذاع صيت فهمى لحرفيته ودماثة خلقه، ودخلت شياطين الإنس والجن بينه وبين كفيله ورب نعمته حتى افترقا، واستقل فهمى بمحل بنفس السوق ليعمل لحسابه مع باقى التجار والزبائن. وأصبحت له ورشة مستقلة، وله مساعدون وصبيان. وأصبح المعلم فهمى بمجهوده وكفاحه.

وذات يوم عاد للمنزل فوجد فاطمة تتأوه من الوجع وتتقيأ وتتألم من المغص فى بطنها. فأسرع إلى المستوصف القريب وعاد وجهه متهللاً بخبر حمل زوجته المصون بهذه السرعة التى لم يتوقعها. ذهب للمسجد شاكراً حامداً لله على فضله متسلحاً بالإيمان والصبر ليكمل رسالته مع هذه السيدة. واحتفل بطريقته بهذا الحمل الميمون بشراء كيلو من الكبد الطارج وبعض الفاكهة وعاد مسرعاً آخر اليوم ليحتضن أم محمد كما أسماها دون أن يعرف نوع المولود. — تعالى يأم محمد حنة كبدة تستاهل بقك لازم تتغذى ياولية. ياوش سعدى وهنايا.

وبشوية فلفل وحنة مستكة وحبهان وكان الأكل جاهزاً. جلسا على الأرض ليأكلا بنفس حامدة راضية ويقشر لها الموزة تلو الأخرى ويضعها فى فمها حتى شعبت فاطمة. وقالت له :

— لم أكن أعرف انك حنين قوى كدة ياسى فهمى. ربنا يخليك لى ومايحرمنى منك أبداً ويتربى محمد فى عزك.

فهى : محمد بس. دول نص دستة إن شاء الله. وسمع  
ضحكهما الجيران.

ولما ظهرت بوادر الفجر نهض مسرعا فتوضأ ليذهب إلى  
المسجد ثم ليتابع عمله فى المحل. ورزقه الله بأحد مديرى  
المدارس ليتعاقد معه لتجهيز مجموعة كراسى ومكاتب وأدراج  
للتلاميذ والعاملين. وقبل يده من الناحيتين وقال :

— أحمد الله على كل حال. هذا رزق الواد محمد.

ومرت الشهور مسرعة بين عشق وحب وعمل وألم إلى أن  
وضعت وليدها الأول محمد فهى كما توقع الأب. وكانت  
فرحة لا يسعها قلب أحد. وجاءت عائلة فاطمة من القاهرة  
للتباريك وعقد سبوع المولود وذبح العقيقة حسب السنة المتبعة.  
ورأى الجميع كيف كانت سعادة فاطمة وزوجها بهذا المولود.  
وكالعادة تمت مراسم السبوع وسمع كلام أمك وماتسمعش  
كلام أبوك.

وانصرف الجميع بفرحة لم تعهدها الأسرة من قبل وظل البيت هادئا إلا من بكاء الصبى.

خرج الرجل مبكرا بهمة ونشاط لعمله وتوالت الأحداث التى تخص ورشته التى يمتلكها، واقترب موعد تسليم أول طلبة له للمدرسة التى تعاقد معها فواصل الليل بالنهار رغم أنه مُجهد لا يعرف طعما للنوم من الضوضاء، فالشقة بالدور الأرضى ولا بد أن ينفرد بنفسه بعيدا عن الإزعاج.

انتهى أخيرا من التسليم بعد أن تملكه المرض الذى بدأ بأنفلوانزا ثم التهاب باللوز والحنجرة ولم يهتم كثيرا باستعمال المهدئات والمسكنات، وفتومة مشغولة دائما بأعمال المنزل ورعاية وليدها البكر، مرت السنوات الثلاثة الأولى من عمر الزواج والمولود بسلام إلى أن همد الرجل بالمنزل لا يستطيع الحراك ولا الخروج، واتصلت فاطمة بأهله وأهلها والحاج عبد الحليم خالها وسبب تلك الزيجة لتحكى لهم كيف مرض السيد فهمى وحاولت طلب العون والمساعدة فى العودة أو السفر للقاهرة لعلاج زوجها.

واقترح الحاج عبد الحليم الذهاب لمستشفى حميات إمبابة، وبالفعل سافرا فى نفس النهار، واقترح الأطباء استئصال اللوزتين للخروج من الحمى التى تصيبه دائما، لكنهما أوضحا أن هناك خطورة عليه حيث إنه تخطى السن المناسب للعملية، ورفض الجميع بعد مداوات كثيرة وخوف فاطمة المتزايد من فقدان حبيبها والأب لولدها الوحيد بعد أن انتابها شعور بالوحدة والعجز.

وذهبت لمنزل العائلة بمنطقة تحت الربع والغورية ومسجد الست فاطمة النبوية، واختلست ساعات للذهاب للمسجد لتدعو الله وأوليائه الصالحين بتمام الشفاء.

وقبل أن تخرج متعجلة سمعت صوتا ينادى من بعيد:

— تعالى يابنتى أنا عارف مشكلتك ومشكلة جوزك.

والكلام لشيخ طاعن فى العمر وذى لحية كثيفة مرتبة كأسنان المشط فاستراح قلبها لذلك.

— هو انت تعرفنى يا عم الشيخ؟

— متسألش يابنتى كتير كله من عند الله، وبصراحة جوزك ملبوس من زمان لما وقع فى الحمام وهو صغير، وطبعاً ماكانش يقدر يقول لك الكلام ده.

طب هو دى الوقت بيجى له تشنجات ولا حالات صرع ويغيب عن الوعى؟

فاطمة: ولا أى حاجة م اللى بتقولها يا عم الشيخ.

الشيخ. عموماً علاج جوزك عندى بإذن المولى سبحانه وتعالى، ولما تعوزينى هتلاقينى هنا جنب حبيبتى الست فاطمة واللهم ماصلى ع النبى. مددودد. حى.

وعادت فاطمة لمنزل أبيها يملكها الرعب والتعجب، وعلى الفور حكمت ماحدث لأمها بالتفصيل الممل.

الأم: والله يابنتى كل شئ جايـز، وياما قصص وحكايات سمعناها عن الأسياد واللى بيعملوه فى البنى آدمين. ربنا

يسترها يابنتى. بس ممكن نعمل له زار عند حسنية الدلالة.  
أنا عارفها كويس وهتكرمنا برضة فى الطلبات.

قالت فاطمة: والله يأمى أنا نفسى اتسدت ومش عارفة  
أعمل إيه، عموما لما أرجع بيتى هاتكلم معاه واشوف وربنا  
عالم بالحال. بركاتكم آل البيت. مدد.

وللمت أغراضها وهى وزوجها المكلم ورحلا لمحطة  
مصر لركوب القطار إلى بلدتهم الجديدة وفى يدها محمد  
الصغير بعد أن بدأ أولى خطواته.

وفى القطار بدأت تداعب فهمى وتحكى له قصصا  
وحكايات عن الأسياد والزار والمس والجان، وقالت:

— تعرف أنا قابلت مين النهاردة فى السيدة فاطمة  
النبوية؟

قال فهمى: قابلت مين خير حد من قرابيك ولا جيرانك؟

قالت فاطمة: أبدا ده راجل كبير وبركة كدة حكيت له على  
تعبك قال لى هاتيه ولازم أشوفه وأنا عارف علاجه من زمان بس

هو مش عارفة. إلا صحيح انت تعبان من زمان ياسى فهمى؟

— تعب. تعب إيه؟ آه تقصدى اللوز وودانى يعنى؟

قالت فاطمة: لأ حاجة تانية؟ وقعت فى الحمام مثلاً ولا اتخضيت بالليل فى أى طريق مسكونة وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال فهمى: أمى حكيت لى وأنا صغير وقعت فى الحمام والدنيا ضلّمة. قعدت اصرخ أصرخ لغاية ما حسيت إن حد بيثيلنى من الأرض وأغمى علىّ، وبعدها لقيت أمى بتفوقنى ببصلة وبتكب مية على وشى. «ألف سلامة عليك ياابنى إن شالله العدوين اللى يكرهوك حسبن الله ونعم الوكيل فى اللى آذاك إنس ولا جن».

وساعتها حسيت برعشة شديدة فى مفاصلى وماقدرتش أتحرك زى ما أكون اتسمرت فى الأرض، وجابوا لى شوية غسل عليه حبة بركة سودا وشوية مية ونمت بعد كدة مادريتش إلا الصبح أبويا بيصحينى ويقول: قوم ياولد. الدنيا

ضهر هنتأخرع الشغل وياريتك كنت كملت فى المدرسة.  
كان زمانك أفوكاتو قد الدنيا ولا مستوظف.

وأختتم فهمى قولته : بس هى دى الحكاية.

قالت فاطمة : يبقى كلام شيخنا إياه مظبوط. يبقى يوم  
الجمعة إن شالله م الفجر نروح له ونسيب الواد عند خالتي  
أم لطفى هى طيبة قوى وبتحبنى الله يخلى لهما ولادها.

وجاء يوم الجمعة الموعد وأخذت فاطمة زوجها وانطلقت  
نحو مسجد الست فاطمة النبوية بالقاهرة للقاء الشيخ المبروك  
للعلاج المناسب.

والتقيا بعد الصلاة حسب الموعد واصطحبهما إلى داره  
الذى يشبه المغارة كثيرا خلف المسجد. وأجلسه بين يديه ،  
وحسب الطقوس المتبعة قرأ عليه بعض سور القرآن الكريم ،  
ولم تفلح تلك الطريقة فلجأ للأخرى وبات يتمم بكلمات  
هذيانية غير مفهومة للعامة وارتجف الجميع وارتعشت  
الأيدى وسمعا الصوت المنتظر: شبيك لبيك. أمرك مطاع يا  
سيد الجان والصولجان.

قال الشيخ : أخونا فهمى تعبان وعائزين نشوف له حل.  
رد الصوت المهيب : انت عارف حكايته من زمان  
ياسيدنا. تزوجته ابنة لنا من حوريات الجان وهى تحبه  
ولا تستطيع فراقه إلا بالموت.

قال الشيخ : الكلام ده تقوله لتلامذة اليومين دول. لكن  
سيدك فاهم وعارف إن فيه طريقة تانية نبعدها عنه.

رد الصوت : أوامر تطاع يا سيدنا. طلع الجنية منه بسرعة  
والا هاحرقك حالا حالا حالا. وهم بالقيام من تعبته الكبير.  
رد الصوت : الأمر مجاب فى الحال.

وأخرج عصا غليظة من مخبئه وأخذ يضرب فهمى  
حتى كانت صرخاته تسمع فى نهار القاهرة العتيقة، وأخذ  
يضرب ويتمتم : اخرجى عليك السلام والأمر من سيد الجان  
وجب عليك السمع والطاعة.

ولم تحدث أى استجابة حتى ذلك الوقت، واستمر فى  
الضرب والضرب حتى تورم جسد الرجل وأوشك على الإغماء.

عندها صرخت فاطمة بأعلى صوت. اتركوه لا أريد  
العلاج، اتركوه.

وسقطت مغشيا عليها من هول الموقف.

وبعد أن أفاقا الاثنان خرجا من المكان وقدماهما تتخبط  
فى بعضهما البعض حتى وصلا لمنزل العائلة فى هذا  
الدرب الأحمر والأزرق فى بعض الأحيان.

الأم : إيه يابـت إنتِ اتجننتِ ولا إيه؟ وليه الخبط  
والرزق ده ع الباب؟

فاطمة : اسكتى يأمى مش قادرة أتلم على أعصابى والله  
(وأجهشت بالبكاء). آه يانى يأمى ع اللى جرى لى واللى  
حصل لى. ياريتنى ماسمعت كلامه.

الأم : هو مين ده يابـت؟

فاطمة: الشيخ.. الشيخ يأمى إياه اللى قابلنى فى  
الست فاطمة هو أنا مش حكيت لك قبل كده لما كنا هنا  
السبوع اللى فات. يوه يأمى سيبينى!  
وفى الصباح الباكر وقبل شروق الشمس استقلا القطار  
للعودة لمنزلهما.

obeikandi.com

## الفصل الثانى

استقبلهما الابن محمد وفرح فرحا شديدا بعودتهما، فكان عامه الثالث والتدريب على المشى بمفرده تماما. وأخذته فى حضنها الدافئ وكذلك الأب الحنون وهو يبكى وهى تصرخ فيه: لماذا البكاء الآن؟ لمدة دقائق وبعدها اكتشف الجميع أنه فقد السمع نهائيا بعد جلسة الشيخ المشنومة.

وذهبا للأطباء فى بلدتهما ثم معهد السمع بإمبابة ولا جدوى، وفى إحدى المرات كان يزور المعهد طبيب بارع من بريطانيا وشاهد حالته، وكان مصرا على إجراء تلك العملية الجراحية الحساسة جدا فى أذن الرجل.

ومع تكرار المحاولات تمكن الاكتئاب منه ، وهرب يومها من المستشفى وعاد إلى ورشته وابنه وزوجته وقال : يكفيني أننى معكم والله يملك المعجزات الكبيرة. سأنتظر فرج الله. واستمر فى حياته حتى رزق بزینب وسعدية ، وحمد الله وأكمل مشواره حتى كبر محمد ثم رزقه الله بحسن وسعد ونجیبة وأتما نصف الدسته من الأولاد.

وهنا اكتملت ترتيبات الحياة بين مدارس الأولاد ومساعدة فاطمة بأعمال الخياطة المنزلية وواجهها صعوبات كثيرة لا تعد ولا تحصى ومحاولات طلاق عديدة لم تفلح أبدا. بسبب عدد الأولاد وانشغال بيت العائلة فى القاهرة بأخويها الرجال وزوجاتهم وأولادهما وكلما ذهبت أعادوها مرة أخرى. فلم تجد من يساندها فى تلك المحنة بعد أن تحول فهمى إلى رجل معقد شرير يخاف منه الصغار والكبار واعتزله الجميع والكل يعايره بصمم أذنيه مما زاد الأمر تعقيدا.

وظهر حبه للابن حسن مبكرا حيث كان يصطحبه دائما إلى كتاب الحى لحفظ القرآن وتعلم القراءة والكتابة. وكان الشبل نابها واعداد بمستقبل زاهر فى بحر العلوم والقراءة والثقافة. إلى وصل حسن لسن العاشرة وهو قارئ جيد للصحف مشارك والده الذى لم يكمل تعليمه وقد وجد فى القراءة عوضا عن فقد حاسة السمع لديه.

ودأب الوالد على تدريب حسن على أعمال الحرف اليدوية من نجارة ودهان وخلافه، وترميم التحف والأنتيكات وبعض أنواع الأثاث القديم الفاخر، إيماننا منه بأهمية أن يتعلم أى صنعة بجانب دراسته فى المدرسة أو الجامعة، لعلمه الشديد بصعوبة الحصول على الوظائف الحكومية أو الكبرى بسهولة، ولكى لا يكون تحت رحمة أحد، وأن يأكل من عمل يده إلى أن يأتى الله أمرا كان مفعولا.

ودخل حسن فى صراع الحياة من أوسع أبوابها. إذ كان يتحتم عليه الدراسة والتفوق مع متابعة أعمال الورشة

والتوفيق باستمرار بين العمال ووالده الذى بدا منهكا ومكسورا من نوائب الدهر. تفوق فى الشهادة الابتدائية وتأهل لدخول المدرسة القبطية للمتفوقين، كما كانت فرصة ثمينة للحصول على إجازة يومين لمتابعة العمل الآخر، امتدت الأيام وكان يتمنى دائما الانتهاء من دراسته، وبعد حصوله على الشهادة الإعدادية بنفس التفوق استمر فى المدرسة ذاتها إذ كانت محببة لقلبه، فقد كان مفوها فصيحا اشتغل بجماعة الصحافة والإذاعة المدرسية وأحبه الجميع من مدرسين وزملاء، فقط كان يجمع بين صفة الحرفى والصانع الماهر والأديب ذى الفصاحة والبيان، ومرت السنوات الأخيرة من دراسته الثانوية بسرعة شديدة ووجد نفسه أمام مرحلة جديدة من حياته، وكان السؤال الذى يشغل باله دائما: كيف يوفق بين دراسته الجامعية وحياة القاهرة الجميلة الفسيحة بحضارتها ونورها الذى لا ينطفئ أبدا خلاف مدينته؟

التحق بإحدى كليات جامعة القاهرة ولم يتسن له الحصول على الإقامة بالمدينة الجامعية. فلجأ لصديق طفولته ودراسته

ورحلة تعلم شرب السجائر ومشاهدة الأهل، إذ كان صديقه له أب غنى وتاجر يعمل بأمور عديدة وكانت الأموال تنهال عليه من كل صوب. إذ كانت له زوجتان والكل ينافس الكل فى إرضاء الصغار. حتى وافق أن يجلس معه فى غرفة ضيقة بشارع قصر العينى ذات سرير واحد ضيق بمشاركة قدرها عشرين جنيها شهريا.

وحمد الله وأثنى عليه لفضله لاستقراره ليتفرغ لدراسته الجامعية لأن صديقه لم يحصل على التفوق وذهب لأحد المعاهد المتوسطة ذات السنتين ويدرس دراسة فنية متقدمة. وزادت الأحقاد من صديقه للفرق الواضح بين جامعة القاهرة وأحد المعاهد المغمورة بالمصروفات. واستمر فى مضايقته فقد كان صديقه سيئ الخلق وحاول التحرش به أثناء نومه لولا انتباه حسن، وغادر الغرفة على الفور وذهب لمنزل جده، ولم يستطع الإقامة ثم ذهب لمنزل خاله الحنون فى ضاحية مصر الجديدة. بدأت تسوء الأمور. فقد قرر خاله الزواج مرة أخرى من إحدى العاملات لديه لمساعدته أهل منزله

القديم فى أعمال المنزل ولأمر أخرى تخص الكبار، وهذه الزوجة الجديدة كانت أمية لا تقرأ ولا تكتب، بادرها حسن بالمساعدة ليعلمها القراءة والكتابة ثم وقعت فى حبه وهو فى السادسة عشر. مرحلة المراهقة والشباب وضغط عليه الشيطان بادلاها حبا وهو لا يعلم كم هى كانت غريبة الأطوار بنت أحد أحياء القاهرة الشعبية المشهورة بالتفسخ والانحلال، وتكشف أمرهما معا، وكرهه الكل الكبير والصغير، وأولاد خاله بسبب تعثرهم فى دراستهم، أجمع الكل على مغادرته المنزل. ثم ذهب لمنزل خالته القريبة، وبكى بين يديها رغبة منه فى الإفصاح بحبه وأنه مظلوم، فقط أوقعته فى شركها هذه اللعينة، فاستدعاه الخال الأكبر ونهره بشدة وأصر على مغادرته دون أن يحل له المشكلة. دون أن تعلم أمه وأبوه طبيعة المسألة.

حسم حسن أمره وقام بتجهيز حاجياته ورحل لا يعلم إلى أين. خلف الجامعة حى فقير. ذهب ليبحث عن مكان ليسكن فيه ولا يملك سوى بعض جنيهاً لا تتعدى العشرة، ورزقه

الله بسيدة طاعنة فى السن تؤجر الغرف للطلبة والموظفين المغتربين، ووافقت بعد أن حصلت منه على المبلغ المتوفر على أن يكمل الباقي تباعا، أو أن يعمل لدى ابنها فى محله بميدان الجيزة لبيع المواد الغذائية فوافق على الفور وحمد الله وأثنى عليه.

واستمرت سنواته الأولى فى الجامعة على هذا النحو الرتيب، وفجأة وعلى غير موعد فتح شبك حجرته المطل على شارع الضيق فوجد بنتا ضعيفة الجمال والقوام تقوم بنشر الغسيل أمامه مباشرة بملابسها الشفافة والتى لن تزيدها جمالا يوما ما.

لم يفرح ويتحرك هاتف قلبه.

فاجأته المسكينة بتلويح يديها محملة بقطعة خفيفة من ملابسها. وبصوت هامس: مساء الخير، أنا بلانش، ده اسم الدلع، باشوفك كل يوم داخل طالع فى حالك، انت إيه حكايتك؟ وعلى فكرة أنا كتير باشوفك فى الجامعة عند باب تجارة كده، اصلى ده طريقى كل يوم لكلية الحقوق.



قالت: كنت خائفة قوى أقول لك إنى مسيحية. لكن واضح إنك مثقف وواعى وأحب نكون أصحاب. أما حبايب دى فتتوقف عليك انت يا أبوعلى ، كنت باسمع الحاجة بتناديك دايمًا كدة. وماخبيش عليك ياما اتمنيت برضة أقول لك وأدلعك. إيش قولك بقى؟ اصل أنا صعيدية برضة من سوهاج. لم ينطق حرفا إلا ابتسامته الصافية التى طمأنت قلبها.

— بصى أنا عندى محاضرات وفى آخر اليوم نتقابل نروح سوا. بس مش هادخل معاك الشارع، انتوا صعيدة بقى. سلام.. سلام

وتواعدا وتقابلا وشرح لها ومدت له أجنحتها إيذانا بحب وافر وسخى وكريم، كانت دائما تجهز له بعض المأكولات لينتفع بها لأنه لا يطبخ فى غرفته ولا يعود لمدينته إلا قليلا جدا، مشغول دائما بعمله المسائى ليكمل نفقاته الدراسية ويسهر للمذاكرة ويذهب للجامعة فى الصباح، واتفقا على ألا يتفقا فى مسألة الزواج. فقط هو الحب والغرام. دائما

يحدث نفسه : ما مصير تلك العلاقة؟ ويرد عليه شيطانه :  
( يا باسط ) قضى وقتك وخلص دراستك وارجع بلدك  
ولن تراها مرة أخرى. هى مسيحية وأنت مسلم فلا تتعب  
نفسك بهذه المأساة.

وصارحها بحقيقة مشاعره، وكيف ينوى الرحيل  
ويتركها، وكان ردها قاطعا حاسما: أعلم أن هذا مستحيل  
لكن هذا قدرنا وأنا أتقبله، فقط أطلب منك ألا تتخلى عنى  
فى أى موقف أحتاج إليك فيه.  
ووعدها بذلك بصدق وإخلاص.

وفى هذا التوقيت، وقبل بداية السنة النهائية جلست  
بجانبه إحدى ملائكة الكلية فهو يعرفها منذ بداية السنة  
الأولى، جميلة مؤدبة راقية، لا تتحدث مع أحد أبدا، نادرا  
ما تجدها مع زميلة، لا تشترك فى الأنشطة أو الرحلات أو  
الاجتماعيات.

نظر إليها ونظرت إليه نظرات لخصت آهات السنوات  
والفقر والحاجة لمستقبل أفضل لبناء حياة جديدة بشكل

أفضل، وقر فى نفسه عند تخرجه أنه سيذهب إليها ليخطبها ويتزوجا، ومرت أيام أخرى أثقل من التى مرت به فى رحلته نحو العلم وحلم الثراء والأستاذية وعمادة الكلية بل ورئاسة الجامعة، كان حلمه أخضر دائما.

حصل أخيرا على درجة البكالوريوس فى الاقتصاد والعلوم السياسية، لكنه لم يرض عن تلك النتيجة، فتقدير مقبول لن يرضى طموحاته العلمية وأحلامه الوردية، غضب قليلا ثم عاد وقرر أن يستأنف دراسته مرة أخرى عند تحسن أحواله وأموره المعيشية والعمل السفر، وما إلى ذلك.

فى يوم النتيجة بحث عن مليكته التى حلم بها فى المدرج قبل عام، ودون أن تدرى خرج وراءها مسرعا ليتحدث معها ويفاتحها فى أمره عن المستقبل والزواج، لكنه لم يستطع أيضا فى تلك المرة، إذ كانت مسرعة جدا.

سار خلفها حتى وصلت لمنزلها واستخرج ورقة من جيبه ليكتب العنوان. فقد تمضى الأيام ويعود مرة أخرى محملا بالهدايا والورود وكثير من الوعود.

عاد مسرعا لبلدته ليزف لأهله الخبر الميمون. ولم يشعر بفرحتهم على غير المتوقع، إذ بدأت الخلافات تدب بسبب أعمال الورشة، ومن سيقوم فى حال لا سمح الله توفى والده فى أى وقت، لأن الأم تعبت من كفاح مريير لتصل الأسرة لتلك المرحلة ولم يتبق سوى الأخت الصغرى فى مراحلها النهائية للتعليم المتوسط.

اقترح على والده تطوير العمل ليلحقوا بركب الصناعة والتطور الحادث من طفرة هائلة فى مستويات الدخول فى محافظتهم الصغيرة، الكل سافر للخارج وأصبحت قوته الشرائية أكبر ويتطلع لأذواق مختلفة غير التى يقدمها الوالد فى ورشته البسيطة. وأصيب بخيبة أمل على الفور لأنه لا يحب التغيير والتطوير وستسير الورشة تعمل كما كانت تعمل بنفس الأذواق والإمكانيات، ولا جدوى من التطوير حسب زعم والده فى تلك الأثناء لاسيما بعض الرتوش الفنية التى لا تكاد تنافس على أى شئ.

كان حسن يحلم بدخل أكبر من الورشة ويتطلع لمعدات جديدة تخدم العمل وتكون بمثابة انطلاقة لتحويل المكان لمصنع كبير للأثاث والديكور، بل كان يحلم أن يكون من كبار موردي الحكومة والقطاع العام والفنادق والقرى السياحية فى أطراف مصر والشواطئ المترامية تشجيعا للسياحة، كما كانت تنشُد الدولة فى بداية حكم مبارك. كان أبوه يخشى دائما من الالتزامات الحكومية من ضرائب وتأمينات وجباية تحت مسميات مختلفة رغم انعقاد المؤتمر الاقتصادى الأول زاعمين تشجيع الاستثمار وصغار المنتجين.

كان يريد تطبيق نظرياته التى تعلمها فى الجامعة على إدارة الإنتاج والعمل.

لكن هيهات. ما أن يفيق من صدمة حتى يجد الأخرى تفرع بابه من جديد.

انغلق على نفسه وأغلق باب غرفته أياما وشهورا لا يعمل. لا ينتج، فقط يخلد للنوم فى كل الأوقات، لاحظت

أمه رغم أميتها دخول حسن فى مرحلة اكتئاب مبكرة فأقنعتة بالذهاب للطبيب النفسى المشهور. وبالفعل ذهب ولم يجد من الطبيب أيا من أنواع العلاج النفسى والتحليل والدراسة للتعرف على أسباب المشكلة، فقط كتب له روصة مصغرة من حبوب ومضادات الاكتئاب، لم يسترح حسن لتلك الأدوية فكانت صعبة المذاق وتذهب به إلى حالة غير اعتيادية من عدم التركيز واللاوعى. فلفظها وألقى بها من شرفة المنزل.

استمرت تلك الحالة من القلق التوتر لديه فلجأ لأحد أصدقائه. الذى قد سافر للخارج بعدما تزوجت أخته من خليجى وكانا يقيمان فى السعودية وتعذر عليه تلبية طلبه فى الحصول على عقد عمل واقترح عليه الحضور بتأشيرة زيارة للعمرة وأن يتشاركا معا فى مشروع صغير للدعاية والإعلان. ولأنه متعطش دائما للعمل بذل مجهودا رائعا فى بدايته، بل فتح أسواقا جديدة لم تكن متوقعة حيث كانت المنافسة شديدة من الهند والباكستان فى تلك المدينة الساحلية التى

تزخر بالبشر من كل صوب ولون لقربها من مكة المكرمة.  
اهتم كثيرا برؤيته فى التفوق والحفاظ على صداقته  
المتينة بزوجة صديقه التى طالما اعتبرها دائما أختا له.  
تحول المنزل لورشة كبيرة ومكتب وسكن فى ذات الوقت،  
وعلى مدار اليوم يعمل ويعيش طقوسه ويشاهد التلفاز مع  
الأسرة الجديدة التى لم يحن الوقت لتضييف أفرادا آخرين  
إليها بسبب متاعب الحمل والولادة وتأجيل ذلك لتكوين  
مستقبل للقادم وشراء منزل بالقاهرة وسيارة وغيرها من  
أحلام صديقه التى لا تنتهى، وقد كان محقا فى ذلك.  
أعطاه الله فرصة عمل لا يتمناها أبدا وزوجة شابة جميلة  
كان يحبها ومقيم فى دولة لن تقول لأى أحد ارحل أبدا.  
ولا تعانى من فقر وبطالة ومشاكل اقتصادية بعد أن حباها  
الله بخدمة المشاعر المقدسة وإيرادات البترول.

استمرا شهورا على هذا النحو. وبدأت زوجة صديقه  
تشكو لحسن من قسوة زوجها وإهماله المتعمد. لكنه لم  
يستغل الفرصة. بل كان دائما يحاول الصلح بينهما لعدم

تهديد مصدر رزقهم جميعا ولأنه مخالف لقوانين الإقامة بالمملكة. لم يكن يحب أبدا تلك المشكلات فقد تتطور ويفقد عمله وصديق طفولته.

نجح المشروع بفضل جهود الجميع وتفرغ صاحبنا لعقد صفقات مع شركات كبرى، وكان دائما فى مقابلات ومواعيد تخص العمل وتعاقدا على أعمال كبيرة تفوق قدرتهما الإنتاجية.

واختلق صديقه أحداثا باهتة وقرر أن يتخلص منه بحجة أن زوجته لا ترضى بوجوده الآن كذبا وافتراء. توسط أحد الأصدقاء هناك بينهما. توسلت زوجته بألا يبعد عنهما ولا عن المشروع، كما ألمحت أنها تحب وجوده كثيرا ولا تستطيع البوح بذلك لزوجها.

والمطلوب من هذا المسكين أن يتحمل كل الضغوط ليبقى قريبا من الأحداث.

فشلت المحاولات وقرر الصديقان الفرقة والخصام وتركهم بالفعل بعد أن تنازل عن حقوق كثيرة كانت له. هو لا

يحب المشكلات كما ذكرنا من قبل.

واستقر به المقام لدى أحد الأصدقاء الجدد، يعمل بنفس المجال لحسابه الخاص بعيدا عن شركته، و مكث معه فترة ليست بالقصيرة. ثم شاءت الظروف أن يتعرف على أحد أصحاب الأعمال من أصول مصرية. علم منه أنه جامعي ويجيد الإدارة والرقابة والمتابعة للمشروعات. سأل عنه بمصر واستعلم عنه جيدا ثم قرر إسناد مهمة نائب المدير لحسن، ولم يكن هذا القرار مرضيا أبدا للمدير الحالي وامتعض كثيرا لتشويه صورته أمام رب العمل ولم يأبه شيخهم لتأوهات مديره. استمر في العمل طيلة عشرة أشهر قلب الشركة رأسا على عقب بحثا عن اختلاسات أو أى نوع من الفساد، وبالفعل تمكن من مراجعة بعض المشروعات ووجد بها تجاوزات كثيرة ونهباً لأموال الشركة والرجل الذى وضع ثقته فى ذلك المدير.

بدأ يكشف حسن الأحداث واحدة تلو الأخرى لصاحب الشركة مع التأكيد ألا يكشف عن هويته فى مجرى الأحداث، وفعل الرجل.

بدأت الحرب بين المدير ونائبه إلى أن وصلت ذروتها، وأحضر هذا الفاسد الخائن موظفة لبنانية فى منتهى الجمال والرشاقة واللباقة لتعمل سكرتيرة للشيخ وتكون حائط صد منيع من تدخل حسن فى كل الأمور. وأفلحت وأفلح مديرها فى شق الصف وزعزعة ثقة الرجل بنائب المدير.

إلى أن أقنعوه بأن حسن به مس من الجن أو مسحور، وصدق الرجل لأن حسن كان دائما مكتئبا حزينا، وأحضروا له شيئا مغربيا يفهم تلك المسألة جيدا وكان صديقا لصاحب الشركة. وأكد المغربى أقوال المدير وسكرتيرته الحسناء بأن حسن به مس من الجن ومسحور أيضا، ولا يصلح للعمل ولا توثق أقواله وأعماله ولا يعتد بها.

وللتمسك الشديد من أطراف معينة داخل الشركة وعلى رأسهم صاحبها قرر المغربى محاولة علاج المذكور بطريقته الخاصة.

فى غمرة تلك الأحداث تأثر نائب المدير حسن واهتزت ثقته بنفسه وبجدوى وجوده بالعمل بعد أن أمضى عاما

ونصف، وغضب من الجميع وذهب ليشكو لأحد القضاة بالمحكمة الشرعية بشكل ودى قبل أن يعود لبلده.

استدرجه القاضى حتى سمع منه كثيرا، ثم قرر أن يحتفظ به لنفسه فى مكتب الوقف الذى يمتلكه لمتابعة أعمال التحصيل وخدمة المستأجرين والرقابة على باقى الموظفين. إذ تأكد من نزاهة حسن وإخلاصه.

قابل هناك، فى ذلك المكان، أمراء ووزراء سابقين وأشرفا من علية القوم من جميع بلاد المسلمين، فقد كان مكتب الرجل قبلة للجميع من هؤلاء لطيب أصله وأخلاقه، محبوبا ناشطا اجتماعيا، محبا للحياة والخير.

مرض القاضى مرضا شديدا بعد أن وعد حسن بحل مشكلة السحر أو المس كما يزعمون. سافر للخارج للعلاج إلى أن توفاه الله. حزن كثيرا عليه ثم سلم أمره لله، وسلم جميع أعماله لأحد أولاد القاضى حسب رغبتهم لأنه غير مقيم رسميا على وعد باستقدمه مرة أخرى بشكل قانونى.

على حين غفلة سمع رنة هاتفه بصوت أخيه الأصغر الذى ساعده للسفر لدولة أوروبية. وحكى له بسرعة شديدة ومرارة ماحدث معه وسأله : هل المكان لديه يستوعب رحيله لهناك؟ فأجاب أخوه أيضا بسرعة ودون تفكير وعلى استحياء : أهلا وسهلا فلتأت بسرعة.

حصل على التأشيرة لدولة قريبة لمحاولة دخوله عبر الحدود لصعوبة التنقل للعرب والمصريين والأفارقة.

وصل مطار استنابول واستقل سيارة للذهاب لأى فندق حتى يرسل له أخوه من سيصطحبه عبر الحدود لألمانيا وأقام أسبوعا كاملا فى انتظار الرجل ولم يأت ، عاد للقاهرة دون أن يبلغ أيا من أهله ، ونام ليلة بأحد فنادق التحرير المتوسطة حتى يتصل بصديق ليحصل على التأشيرة المطلوبة وبالفعل تم المراد ، وعاد للمطار ودخل ألمانيا بعد توحيد شرطها. واتفقا هو وأخوه على أمل جديد بالتفوق ، وهذا أفضل من عودتهما جميعا لمصر بخفى حنين.

كان أخوه سعد يسكن مع حمادة المصرى المتزوج من ماريكا الألمانية الطيبة الجميلة وكانت فى الأربعين من عمرها ، ولحسن حظ حسن كان اليوم موافقا لعيد ميلاد زوجة حمادة واحتفلا معا وقدم لها هدية متواضعة وأمطرت خديه بوابل من القبلات تعبيراً عن شكرها وامتنانها على هديته .

عندما كان حسن مقيماً فى بلاد المشاعر المقدسة كان يطلق لحيته دائماً إذ أعجبته هيئته كذلك ، دون النظر لكونها سنة أو فرضاً على رجال المسلمين ، ولم يهتم بالأمر كثيراً ولم يناقشه ، وكلما سأله أحد عن ذلك قال : إنى لم أخلص النية الآن لتكون فرضاً من فرائض المسلمين .

وكانت أولى نصائح حمادة المصرى وكانت شرطاً فى نفس الوقت أن يقوم حسن بحلاقة لحيته خوفاً من مشكلات العرب فى بلاد الغرب والإسلامو فوبيا التى انتشرت فى الآونة الأخيرة بعد ظهور القاعدة وأسامة بن لادن والحرب فى أفغانستان .

وبمجرد أن شكا أحمد من تقبيل زوجة حمادة له لأخيه صارحه بحقيقة أنهم يعيشون الحياة ببساطة، وعلى اعتبار أنك أخ وصديق لها وأكمل جملته بأن حمادة يريد أن تحلق لحيتك. غضب حسن لهذا الأمر ورغم أنه كان ينتوى فعل ذلك إلا أنه كان يريد أن يكون القرار من داخله هو ولا أحد يشترط عليه ذلك. كان سعد خجولا كثيرا على حساب نفسه، وقد فعل أيضا على حساب أخيه حسن بمجاملته لحمادة وزوجته. ذهب مساء اليوم التالي لتجمع المصريين والعرب فى محاولة للبحث عن أى عمل لحسن. ووجدنا بالفعل عملا فى مشتل للزهور بالقرب من العاصمة.

الشتاء قارس لمن لم يتعود بعد على هذه الأجواء القاسية.

انتظم فى العمل رغم إرهاقه الشديد وضعف بنيته ولكنه استمر، واقترح عليه الجميع شرب البيرة والكحوليات لتكون فواتح شهية ليستطيع أن يتحمل أعباء العمل، ولكنه رفض وبشدة إلى أن حضر الجميع حفلا كبيرا للمغتربين وبعض

الألمان فى منزل صديق لماريكا، البنات كثيرة وجميلة والشباب أجمل والمأكولات والحلوى بكثرة وأيضا المشروبات بكل أنواعها.

كاد حسن أن يذوب فى طبقات وإغراءات الحفل وهم بشرب البيرة لكنه تذكر أنه رفض قبل ذلك وقد يغضب ذلك أخاه وأصدقائه فى السكن.

فاكتفى بصحبة زيشولا الرائعة وخرجا فى حديقة المنزل. كانت تجيد الإنجليزية وتحدثا قليلا فى الحب والزواج ومشاكل العرب والغرب والهوة السحيقة بينهما.

وكانت عاقلة وحكيمة لم تتطرق بعد لمشاكل الأديان والمعتقدات.

لفتت نظره كثيرا تلك المسألة فى كون زيشولا لم تتحدث مباشرة عن تلك المشاكل المعقدة فى بداية صداقتهما المنتظرة، فقد أوشكت أن تتعلق به وبوسامته وجرأته فى الاحتفاظ بلحيته وعدم شربه للكحوليات وانسياقه لما قد ينجرف له الكثير من شباب العرب.

خرجا معا ذات مرة وشعر بحنو قلبها وعطفها عليه  
ورأفتها بأحواه فى الغربية بعيدا عن أهله، وسألته: هل  
أحب من قبل أن يحضر لبلادهم؟

فرد على الفور: بالتأكيد أى شخص بمجرد بلوغه سن  
المراهقة والشباب لابد وأن تكون له اهتماماته نحو الجنس  
الآخر، أحببت بنتا فى الجامعة ولم أستطع التقرب إليها  
طبقا لعاداتنا الإسلامية إلا بعد الشروع فى الزواج والخطبة،  
لكن فكرة الجريل فرند غير متاحة فى بعض العائلات  
الأصولية المتوسطة، وكان لزاما على أن أحتفظ بقلبي بكرا  
حتى يحين الوقت المناسب، وبالفعل لو فكرت سأفكر فى  
الزواج لأنى لا أستطيع أن أغضب ربي بإقامة علاقات شاذة  
خارج إطار الشرع، أو القانون فى بعض المجتمعات.

هزت زيشولا رأسها قانعة ولو بنذر يسير.

وقالت: لكنى لا أستطيع الزواج إلا بعد التأكد من محبتك  
وقدرتك على ممارسة الجنس وباقى مسئوليات الأسرة.

وتأسفت كثيرا لحسن.

وفى قرارة نفسه فرح كثيرا بهذا القرار إذ يحتاج من الوقت الكثير لكى يقرر الزواج والإقامة فى ألمانيا على خلاف أخيه، فقد اختمر عجينه فى تلك البلاد وأصبح سعيدا ومبهورا لتلك الحالة.

نشأت خلافات كثيرة بين حسن وأخيه وصاحبه حمادة وزوجته ماريكا بسبب أنه لا يتقبل تلك الحياة. فله طقوسه ونواميسه الخاصة.

هو يريد العيش بمفرده، هل هو مرض نفسى أو اكتئاب لا يدرى ولا أحد يجيبه. كان دائما يفضل المكوث لساعات طويلة وحده، والجميع يرقصون ويأكلون ويشربون. إنه حقا شخص غريب، هكذا دائما كان يسأل نفسه.

فى اليوم التالى قرر ترك العمل القريب من منزل أخيه والسفر لإحدى الجزر البعيدة. لعيش حسب رغبته ولكى لا

يكون مصدرا لإزعاج أى أحد. ودع الجميع وذهب للإقامة فى بنسيون بصحبة شاب بليجيكي، كان جميلا لدرجة الفتنة واكتشف فى تلك الليلة أنه شاذ إذ طلب من حسن أن يأتيه فى مكان خلفى.

فزع حسن كعادته من تلك المسألة وترك المكان، ورحل يبحث عن بديل يقضى فيه ليلته، قابل شخصا تركيا يعمل هناك منذ سنوات، استضافه فى منزله بعد أن سحب منه كل أوراقه الثبوتية وتأكد حسن أن الرجل ليس له أغراض خبيثة أو شاذة.

ساعده فى الحصول على عمل فى اليوم التالى مباشرة، وبدأ كعامل فى بداية الأمر ثم تدرج فى الوظائف حتى ثبتت كفاءته للإدارة وأصحاب المصنع وتم ترقيته لمشرف عام المكان.

وبعد أيام فاتح حسن صاحب العمل فى أن يبدأ فى تجهيز أوراق إقامته للاستقرار والزواج. وبالفعل بشره الرجل أن محامى الشركة يعمل الآن على ذلك.

وفى تلك الليلة السعيدة للجميع خرجا ليتنزها فى منطقة تعج بالسائحين بعد يومين من غزو العراق للكويت. وبرغم أن أعداد العرب فى تلك المنطقة لم تكن كثيرة إلا أنه تم ترحيل الجميع من تلك البلدة إلى بلادهم الأصلية تحت مسمى الحرب على الإرهاب. ولم يشفع لحسن كفاءته ولا تقدمه فى العمل ولا بداية إجراءات الإقامة الرسمية، وبعد أن وعد الجميع حتى فى حالة رحيله سيتم استئناف الموضوع. هكذا كانت أحوال حسن المصرى، كلما صعد نجمه فى السماء هبط ثانية للأرض. حزن كثيرا وعاد يفكر، هل به مس من الجن بالفعل هل هو محسود؟ هل هو منبوذ؟ كل تلك الأسئلة كانت تراوده وهو على ظهر السفينة برنسيصة قبرص عائدا إلى بورسعيد.

ومما خفف من أحماله وقتها التعرف على صديقة أمريكية وعدته هى الأخرى أن تراسله وترسل فى طلبه للولايات.

وصل لمدينة بورسعيد بعد رحلة فى عرض المتوسط لمدة  
ثلاثة أيام مرورا بقبرص وإيلات التى رفض أن ينزل بها  
ولو لساعات قليلة فلن ينسى أبدا أنه عربى يوما من الأيام.  
عاد لأسرته بحقيبة ملابسه القديمة ولا يملك إلا بعض  
الدولارات.

كان يوما مخزيا للجميع بعد تلك الغربة التى امتدت  
لثلاث سنوات وأكثرهم حسن.

تركوه وحيدا، لم يحضر هدايا لأحد بعد كل الأحلام  
التى وعد بها الجميع. استمرت حالته النفسية فى السوء  
حتى دخل عليه أبوه ذات ليلة يربت على كتفه ويقول  
له: كل شئ بإذن الله وأرى أنك لم تنجح كما سمعنا منك.  
ودائما ضع الله نصب عينيك ولعله درس لتعود لتمسك  
الورشة وتعيد مشروعاتك القديمة.

علم أحد أصدقائه القدامى بعودته فذهب إليه مسرعا:

— طبعاً إنت قافل على نفسك الدنيا كلها. أنا عرفت إن القوى العاملة طالبة ناس عشان تعينهم فى الحكومة والحمد لله إنك رجعت.

رد حسن بانكسار: خلاص نروح سوا ونقدم يمكن تفرج. لكنى سأقدم فى مكتب القاهرة لا أستطيع العيش هنا لأرى نظرات التشفى فى عيون الجميع. إنهم يرونى فاشلا دائماً. أنتظرك غدا إذا كنت تريد الذهاب معى.

رد صاحبه: لو أبويا وأمى سمعوا إنى هاتشتغل فى مصر هيحرمونى من كل حاجة وأنا عايش هنا مبسوط حتى لو عاطل. روح إنت يا عم الناصح وهنشوف. وعموما أنا زى ما انت عارف أتمنى لك التوفيق وإن ربنا يعوض عليك الكام سنة اللى إنت غبتهم عنا. سلام سلام .

استيقظ حسن فجرا على غير عادته وصلى لله ثم التقط ملبسه بسرعة قبل أن يصحو أحد من المنزل ويسأله إلى أين أنت ذاهب؟

استقل السيارة الأجرة وطوال الطريق يفكر هل سيجد فرصة بالحكومة بالفعل؟ وعندما أتعبه وأنهكه التفكير قال فى نفس: زى ماتيجى واللى يحصل يحصل هتخرب أكثر من كده؟! أنا واحد من ملايين فشلت وبتحاول تنجح وخصوصا فى بلد زى مصر اللى مصدعينا دايمًا بالأغانى وأم الدنيا وخالتها.

انتبه من استغراقه على صوت السائق:

الأجرة يا حضرات عشرة جنية عشان البنزين غلى.

وصل حسن لقر القوى العاملة بمدينة نصر بأعجوبة وسط الكم الهائل من السيارات وإشارات المرور التى لا تنتهى وغلق بعض المسارات والشوارع لحضور الرئيس إحدى جلسات مجلس الشعب.

استقبله الموظف بحفاوة لم يصدقها وصار منبهرًا بها.

— والله يا حسن انت ابن حلال عندى مكان ليك حكاية بس هناخد الحلاوة طبعًا.

قال حسن: وأنا من عينيّ يَأَسْتَاذ بس فين هيّ؟

— آدى العنوان وهتروح للأستاذ سامح المدير وتقول له إن أنا رشحتك للوظيفة وعلى فكرة المكان دة فلوسه كتيرة وهتنبسط وتدعى لى وشقق وأراضى وحكاية زى بنك التعمير بالظبط.

وودعه حسن بعد أن أعطاه هدية بسيطة مؤقتا للدخان والشاى وقلبه يتمزق من ضيق حاله وقلّة أمواله الآن.

ذهب فورا لجهة العمل المرشح لها واستقبله السيد سامح وهو فى الخمسينيات من عمره ويعمل مديرا ماليا وإداريا وأخذ منه السيرة الذاتية وتناقش معه فى بعض الموضوعات والخبرات السابقة.

انشرح صدر المدير لذكاء حسن وفطنته واستعداده للتطوير والنجاح واتفقا على أن يتسلم العمل فور صدور قرار التعيين.

عاد حسن لبيته بعد نهار شاق جدا وسأله الجميع:

أين كنت؟

لم يعطيهم ردا شافيا حتى يتحقق المراد وصدور قرار  
التعيين :

— كنت عند واحد صاحبي كان عازمنى على فرح أخته  
وماكنتش أقدر أتأخر لأنه طلب منى مساعدته فى اليوم  
ده من الصباح الباكر.

انكفأ حسن على القراءة كعادته لمدة أسبوع لا يفتح بابه  
إلا للضروريات، لا يتحدث، لا يضحك لا يفعل أى شئ  
سوى الانتظار.

وفى صباح اليوم التالى سمع صوت صاحب البريد :  
الأستاذ حسن ألف مبروك جواب تعيين وفى القاهرة !  
طب فين الحلاوة يا عم ؟ أستاذ حسن. أستاذ حسن.  
مناديا من ساحة المنزل.

حسن مرتديا ثوبه الأنيق حاملا حقيبته المثلثة من كل  
نوع. ملابس مأكولات. مكواة. راديو صغير وبعض الكتب.

استأذن خاله فى الإقامة عنده حتى يجد غرفة مناسبة أو أى سكن. فقد كانت مشكلته دائماً على مدار حياته الممتدة هى السكن.

وتسلم عمله فى اليوم الأول وتعرف على جميع الزملاء والزميلات وعبد الغنى الفراش ومحمد عطية المراسلة والشيخ على ومدمام فافى سكرتيرة الرئيس الكبير. كانت أنثى بحق. ولذلك كان الجميع يدللها وهى تدلل الرئيس على رأس هذا الجهاز الضخم.

وجاء موعد الانصراف، فإذا الجميع يهرول نحو باص قديم لخط جسر السويس فطلب من السائق الركوب حتى تنتهى إجراءاته، وكان ناجى مهذباً يحرص على علاقته بالجميع لأنه لم يُثبت بعد كما كان يكره رئيسه المباشر عم عزت اللى واكلها والعة. بنزين وكوبونات وقطع غيار وتكهين. هيصة يابا وصاحبها نايم.

هكذا كانت أحوال الحكومة والأجهزة التابعة والقطاع العام .

أثناء غيابه خارج البلاد تمت خطبة أخته الصغرى بعد أن قرأ الفاتحة مع خاله الذى يقيم عنده الآن على ابنه الذى يعمل فى مستحضرات التجميل وكل ما يخص النساء. وما إن وصل الباص للميدان اتصل بخطيب أخته وأرغمه على ترك العمل للبحث معه على شقة صغيرة أو غرفة بالمنافع. فكان يقدر الخصوصية دائما.

ووجد غرفة فى إحدى الشقق المجاورة لمنزل خاله مشتركة مع آخرين. لم تعجبه فى الوهلة الأولى لكن أقنعه ابن خاله أنها مناسبة حتى يجد فرصة أفضل إذ هو فى حاجة دائمة للاستقرار.

تم الاتفاق ودفع المطلوب رغم المغالاة الشديدة والاستغلال.

استقل سيارة العمل صباح اليوم التالى واستقبله الجميع بود وترحاب. وأصبح على عاتقه تطوير الإدارة التى يعمل بها وتجهيزها للعمل بنظام الحاسب الآلى وعنهما كتب المذكرات والتوصيات وخطط كيف يكون العمل فى المستقبل.

وبعد الانتهاء من تلك التجهيزات عينه رئيس الجهاز عضواً مالياً وفنياً في لجنة المناقصات التي تبنت في تلك الأمور. وفي الجلسة شعر بأن اتجاه الجميع ترسية التوريد على شركة بعينها رغم ارتفاع الأسعار بشكل جنوني ودفع بعدم أحقية المورد لذلك لوجود عروض أفضل وبأسعار أقل ومواصفات أحدث.

لكنه قوبل بثورة من مديره على هذا التصرف فتم تحييده عن اللجنة وتم الشراء بالفعل.

غضب منه الجميع وأكثرهم رئيس الجهاز والمدير المالي وأصبح في معركة دون أن يفهم أنه أمام إحدى شبكات الفساد. مرت الأيام والتحرشات تزيد والتعسف بات واضحاً من رئيسه المباشر الشيخ على بسبب التدخين داخل المكتب وعلى أشياء تافهة كلما مرت بذاكرته شعر بضلال هؤلاء.

استمرت الحرب ضده من الجميع ، وتم نقله لإدارة أخرى وملاحقته بالجزاءات رغم أنه من أكفأ العاملين حسب التقارير السنوية.

عرض المشكلة على صديق له يعمل بالقاهرة كان له زمالة وصدقة قديمة أيام الجامعة.

فقال لة وبإصرار: ما رأيك أن تستقيل ونقيم مشروعاً مشتركاً كما فعل أخى الأكبر؟ هو فى روسيا الآن ويحيا حياة الأمراء بسبب تجارته فى السيارات وقطع الغيار خصوصا أنه أرسيت عليه عملية توريد لمجلس الوزراء لسيارات جديدة وهو موزع معتمد الآن. لدينا عروض بتوكيل لسيارة صينية جديدة والسوق مفتوح للجميع.

ثقت كلمات صاحبة رأسه ، ووافق بشرط أن يكون هو المدير المالى لخبرته الطويلة فى تلك الأمور. وعرضا الأمر على صاحب الوكالة الرئيسية والمقيم فى أفخر الفنادق

دائما تاركا زوجته وأولاده لجحيم المصاريف والدراسة فى إحدى القرى.

فأوصى أن يقوموا أولا بتستيف أوراق الشركة القديمة وتحصيل المديونيات لدى العملاء وإنهاء ملف الشركة ضريبيا لأنه يفكر فى اعتزال العمل. ليتفرغ للذاته من خمر ونساء ومخدرات وكوكايين وغيرها من المدمرات المبكيات.

بالتأكيد هو لم يصرح بذلك ، لكنهما وافقا وبدأ كل منهما دوره بالتحديد وفى غضون أشهر قليلة تم تنفيذ المطلوب وتم بيع المقر بعد تسريح بعض العاملين.

عاد حسن لعمله وقطع إجازته التى أخذها بدون راتب ليحاول مرة أخرى قبل أن يذهب لطريق الملايين حسب زعم صاحبه.

مناوشات ومحاولات دون أى تقدم.

تقدم بشكواه للرقابة الإدارية وتم حفظها وكذلك للنيابة وأخرها لمكتب الوزير التابع لة جهة عمله.

بعد أسبوع تم استدعاء رئيس مجلس الإدارة وكبار معاونيه  
لمكتب الوزارة للتحقيق. وفور أن سمع صاحبنا الرئيس الخبر  
سقط مغشيا عليه فى مكتبه. تم نقله لمستشفى جامعى قريب  
وعلى نفقة الدولة. إلى أن استقرت حالته. وذهب إليه حسن  
حاملا الورود لزيارته. فنطق أخيرا :

— سامحنى يا حسن أنا ظلمتك.

ثم نطق الشهادتين إلى مثواة الأخير.

لكن لم يتنه الفساد بعد من المؤسسة.

عادت من جديد أمواج عاتية من التحرشات والتعسف  
بحسن إلى أن تقدم باستقالته مرغما، فهو لا يستطيع أن  
يعيش وسط أكوام الفساد وأراذل البشر.

أبلغ صاحبه على الفور بخبر استقالته وفرح كثيرا  
بذلك. إلى أن أتما إجراءات شركتهما الجديدة ومقرها فى  
مدينة الجيزة بأحد الأحياء الراقية لزوم الواجهة التى قد  
يتطلبها العمل فى البنس والتوكيلات التجارية.

بدأ الجميع العمل بجهد ونشاط، والكل يقوم بدوره كما ينبغي، إلا أن شريكه وصاحبه قد اغتر بوسامته وأصبح يجرى خلف النساء حتى أصيب بأعراض مرض الإيدز وأصبح الاشتباه أمرا لا شك فيه. وكان حسن دائما يؤنبه على تركه زوجته الجميلة الرائعة والتي شهد لهما بالإخلاص والحب قبل زواجهما. إلا أن زيادة بعض المال مع بعض الأشخاص قد تكون وبالا عليهم.

أثبتت التحاليل بإصابة صاحبة بالفيرس وأصبحت حالته النفسية صعبة للغاية خصوصا مع ظهور المرض وعدم إمكانية علاجه. إلا أن بعض الأطباء قرر أنه يمكنه التعايش مع المرض شرط ألا يقترب من زوجته أو أى أحد جنسيا.

عندها همس حسن إلى نفسه وسألها:

— ماذا يحدث لى؟ كلما استقرت الأحوال عادت إلى الأسوأ

دائما. ماذا يحدث لى؟

هل أتخلى عن صديقى وأترك أعمالى بعد أن اقترضت من البنوك من أجل المشروع. وماذا أفعل بعد أن تقدمت باستقالتي من الحكومة؟

أسئلة كثيرة لم يجد أى إجابة لها فى تلك الظروف.

دامت الأحوال فترة ليست بالبعيدة واستأجر حسن شقة مجاورة لمقر شركتهم، وظلت صاحبة المنزل تراوده ليل نهار وتفتح عليه باب شقته ليلا وهو نائم متحلية بأفخر الملابس الداخلية ومتعطرة بأنعم الروائح.

وانخرط هو أيضا فى هذا الطريق بعد أن كان يلوم صاحبه ولكن له العذر دائما فهو غير متزوج. هكذا كان شيطانه يوحى إليه.

الشركة على وشك الإفلاس.

زوجة صاحبه أقامت دعوى الطلاق ثم الخلع بسبب مرضه، وانتقاما منه لخيانته لها على مدار سنوات، وسيدة منزل حسن كانت تحصد منه الأموال دائما فهى لا تصدق أن

تلك أموال للبنوك ولا يجوز التصرف فيها إلا فى المشروعات والعمل. كانت ليلى أمية جاهلة لا يهملها إلا المال. فقد أرسلت زوجها للكويت ليجمع الكثير والكثير وهى تصرف على ملذاتها وعلى الشباب الفتى القوى جنسيا لتروى ظمأها دائما ولا تشبع.

وهرب صاحبه إلى ليبيا ووجد حسن نفسه فى المواجهة مع البنوك والديون. فكان يصبر نفسه دائما بأن البلد حبلى بالفساد وهو ليس أول ولا آخر شخص يقترض ويهرب. إنها عزبة كبيرة. وقد دفع الكثير قبل أن يحصل على القرض للموظفين وكبار المسئولين.

اختنق الحبل على رقبتة وتخلى عنه الجميع حتى ليلى صاحبة المنزل بعد أن فضح أمرهما مع أخ لزوجها المقيم بالكويت ليستنجد به أن يعود لزوجته وابنته، دون أى اهتمام منه.

فترك كل شئ: المكتب والشركة وشقته عند ليلاه الخمرية التى لا تشبع أبدا لا أموالا ولا غراما وعشقا.

ذهب لأحد الميادين. لا يحمل أى شئ، معه بعض الجنيهات، جلس على إحدى المحطات كأنه ينتظر الركوب، وجد رجال المباحث وآخرين. اقترب منه رجل فى الأربعين وقال : هل تنتظر أحدا؟  
وأجابة على استحياء:

— الحقيقة فلوسى ضاعت وأنا غريب وسأقضى الليلة على المقهى أو على المحطة.

فقال : وليه كده. بيتى تحت أمرك. أنا ساكن فى الزاوية. قريب يعنى. تلاقىك تعبان وجعان. أنا هاعمل معاك الواجب والصح.

لم يجد حسن مفرا من قبول العرض خوفا من رجال المباحث والأشرار فى ليل القاهرة.

استقلا الميكروباس معا. دفع رفيقه الأجرة. وصلا للمنزل أخيرا.

حسن منهك القوى وجائع. قدم إليه الأخير بعض اللقيمات التى لا تسمن من جوع وحمد الله وفى نفسه : بكرة يحلها الحلال.

كان بالغرفة سرير واحد ولكنه كان كبيرا فارتضى عليه. وبعد دقائق وهو على وشك النعاس شعر بيد خشنة تمتد إلى جسمه وإلى عضوه الذكرى شيئا فشيئا. فابتعد قليلا. ثم كلمه الرفيق :

— لا تغضب منى فهذه مشكلتى ، أنا أريدك أن تمتعنى هذه الليلة ويمكنك الإقامة معى حتى تنتهى مشكلتك. وبصراحة مستحيل تخرج من هنا قبل أن تنفذ ما أقول. وأشار بيده على سكين أعلى المنضدة. استجاب حسن للأمر واستجمع قواه وقذف الرجل بأقوى مايمكنه مما جعل الأخير يصرخ ويتأوه حتى اكتفى.

بدأ التعب يظهر على حسن والإعياء فحاول النوم لكنه خائف أيضا.

وإذا بالرجل مرة أخرى يخلع سروال حسن ويحاول أن يرد الكيلة لحسن، وانتبه حسن وفر مذعورا والتقط ملابسه على عجل وبصوت عال:

— والله إذا تعرضت لى سأفضحك فى الشارع والمنزل اتركنى أذهب. افتح الباب. المفتاح

خاف الرجل من عنف حسن وفتح له الباب بسرعة شديدة قائلاً:

— غور إنت مش وش سعد.

أخذت تلك الكلمات تتردد فى أذنى حسن حتى وصل إلى الميدان وعنده جلس على أحد الأرائك المحطمة البالية فى المحطة القديمة.

استجمع قواه واستغفر ربه متذكراً حديث رسوله صلى الله عليه وسلم: «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان». وعاد والتزم طلب العفو والمغفرة.

ارتكن إلى ركن بعيد حتى تفتح أبواب المساجد لصلاة  
الفجر وأفاق من غفوته على صوت المؤذن. الله أكبر الله  
أكبر حتى على الصلاة. ذهب مسرعا وسأل الخادم عن مياه  
ساخنة للاغتسال من ورطته، فرد عليه قائلاً: كمان عايز  
سخان. ارحمنا يارب! وعاد لحجرته تحت المنبر. اضطر  
للتحمم بالمياه الباردة في الصقيع وتوضأ وذهب ليلحق  
بالمصلين وملابسه مبتلة وهيئته معتلة.

أكمل صلاته وتسبيحه ودعواته لله عز وجل أن يهديه  
لطريق الخير والحق، وأن يعود لسيرته الأولى في عمل متمنيا  
زوجة وبيتا وأسرة.

حتى جنيحاته القليلة ضاعت وسقطت من بنطاله عند هذا  
الشاذ ولا يجرؤ بالتأكيد على العودة ويكفي أنه أفلت بنفسه.  
بدأت الحياة تدب في الشارع فاقترب من عربة الفول  
وسأل صاحبها العمل معه إلا أنه اعتذر بلباقة وأصر على  
تناوله الإفطار لديه. قائلاً :

— منكسفنيش دى ساعة صبحية.

وألقى إليه طبقا من الفول والسلطة الحمراء وبعض  
الجرجير وأكمل:

— العيش عندك هناك خد اللي انت عايزه.

التهم حسن الوجبة كاملة مع شعوره الدائم أن هناك من  
ينظر له وكان يتلفت حوله دائما.

حاول الرحيل عن العربة فى هدوء إلا أن الرجل باغته  
بكوب من الشاي الساخن. شربه واستجمع قواه الخائرة.

وهو يلمح أحد المخابز العتيقة فى حى الظاهر بالقاهرة.

ألقى السلام ثم سألهم عن أى عمل يمكنه القيام به،  
رحب الرجال ودخل لمساعدة الخباز بالقرب من ماكينة  
العجين مقابل عشرة جنيهاً آخر اليوم.

أكمل يومه دون أن ينطق بكلمة حتى أنه رفض الحديث  
عن نفسه مطلقاً، وأخذ أجره المتفق عليها واتصل بإحدى

شقيقاته المقيمة بالقرب منه ليحكى لها. إلا أنها بادرت به بقولها:

— أنا زعلانة مع المخفى على عينه جوزى والعيشة بقت جحيم ولا عندى فلوس أساعدك ولا عندى مكان تنام فيه. فأغلق الهاتف فى وجهها من هول صدمته.

ذهب إلى لوكاندة بشارع كلوت بيك العتيق وسأل عن غرفة مستقلة. ثم تأكد أنه لا يستطيع ذلك فقال له صاحب المكان:

— عندى غرفة مشتركة تلت سراير وتدفع ستة جنييه فى الليلة.

فتكلم حسن أخيرا :

— عشان خاطرى يا معلم أنا كل اللى معايا عشرة جنييه، ومش عارف ظروفى أنام هنا ع الكنبه فى المدخل وأدفع تلاته جنييه، أو هاقول لك على حاجة حلوة ممكن أشتغل معاك أو أعمل لك أى حاجة، نضافة مسح غسيل، اللى تؤمر بيه.

فوافق الرجل وقال :

— خلاص مش عايز منك فلوس كل اللي عايزه تنام على  
البوابة ولما يبجي زباين تاخد البطايق وتسجلها والفلوس  
تحطها فى الدرج لغاية الصبح.

انتبه حسن لحاله ووضع حقيبته خلف المكتب وجلس  
مكان الرجل واستمرت الأيام والشهور وهو على تلك الحال  
حتى جاء تفتيش من الداخلية على الزوار وأيضا من وزارة  
الصحة وأننوا على طريقة عمله وتنظيمه للمسائل إلا أن  
هناك ضابطا متكبيرا أهانه أمام الجميع بسؤاله عن أوراقه  
وبلدته التى حضر منها وأمعن فى التدقيق فارتجف حسن  
وظهرت عليه علامات القلق.

استنجد بصاحب اللوكاندة أن يخلصه من قبضة الضابط  
دون جدوى ، فقط سمعه يقول بغل وكراهية شديدين :

— هتشرطنا فى القسم شوية نفحصك وكمان نفحصك.

وضحك الجميع إلا بطلنا المسكين.

ركب سيارة الشرطة متجهين لقسم الأزيكية بوسط القاهرة وعليها حراسة شديدة وكأنهم هددوا أمن الدولة بأعمال إرهابية وتجسس.

المخبر ١ : انزل يلا انت وهو ياولاد الداخنة.

المخبر ٢ : يلا هتشوفوا ليلة سودا بإذن واحد أحد اجرى منك له.

كانت هناك أعداد كبيرة من الناس أمام القسم والكل يسعى لمعرفة تهمة قريبه أو صاحبه المقبوض عليه. هالة وأفجعه المنظر فلم يعتد عليه يوما من الأيام.

فى داخل القسم الضابط المتكبر يشير بيده :

— ارميهم فى الحجز يا متولى عندى ضيوف مهمين.

والتفت قائلا :

— أهلا يا هانم أخبارك إيه منورة القسم كله. تعالى فى المكتب يا أهلا وسهلا وسعادة الباشا عامل إيه؟ يا مرحبا. فين قهوة الهانم يلا. بسرعة.

فى مكتبه:

— خير أمال مالك عندك مشكلة حد حصل له حاجة؟

آمال : أبدا أنا كنت قريبة من القسم وحشتنى قلت آجى اشوفك، من يوم آخر ليلة وماحدث سمع عنك خبر ولا حتى تلفون تظمن علىّ.

الضابط: بصراحة أنا كنت خايف جوزك ياخذ خبر بعلاقتنا وتبقى مشكلة وإنّ عارفة تفتيش الداخلية والإشاعات كل شوية.

ودق باب مكتبه من أحد المخبرين ومعه حسن وهو يقول بصوت عال :

الواد ده ياباشا بيقول إنه مش داخل حجز ومعدوش أى حاجة يخاف عليها وبيقول قريبه صحفى وهيقلب الدنيا.

الضابط وهو يضحك بصوت عال: ابن أكابر حضرتك.

وعندما رأته آمال وهو فى حالة مزرية وقالت : معقولة ده حسن ياه ع الأيام ده عشرة أربع سنين فى الجامعة. ده طيب جدا وعمره ما أذى نملة. إزاي كده؟

حسن ينظر إليها بتعجب لعله يتذكرها وفى قرارة نفسه قال: مش مهم تعرفنى ولا متعرفنيش أخرج والسلام.

آمال : إنت مش فاكرنى يا حسن؟ أنا آمال أسرة السلام الثقافية زميلتك.

وعندها تذكر وتنفس بصعوبة. لكنه لم يتحدث.

آمال موجهة الكلام للضابط: عنده إيه؟ بص لو بتعزنى صحيح خرجه حالا وفورا.

الضابط: حاضر ياستى خد بطاقتك. أنت ربنا رحمك  
منى واحمد ربنا عشان الهانم موجودة.

آمال : خد يا حسن ده تليفونى وأى حاجة تكلمنى ، أى  
حاجة أى حاجة أرجوك.

أخذ حسن الورقة وبطاقته وفر مسرعا من القسم.  
واتجه إلى حيث لا يدري.

تذكر حقيبته فى اللوكاندة وأيضا ليوبخ صاحبها بعد  
تخليه عنه فى هذا الظرف.

قابله صاحب المكان وقال له :

— سامحنى الناس دى مايقدرش عليها إلا ربنا. عالم  
مفترية. هيتعبونى فى شغلى وانت عارف. سامحنى  
ياابنى. وآدى شنطتك. وحسابك خالص ومع ألف مليون  
سلامة. ربنا معاك.

## الفصل الأخير

خرج بحقيبته البالية من فعل الرطوبة بالمكان، والذي كاد أن يأكل عظامه. وذهب إلى أحد الأكشاك المنتشرة على ناصية كلوت بيك حيث أجهزة الموبايل للاتصال بزميلته آمال التى أخرجته من القسم. ولم يكن فى جيبه سوى ثلاثة جنيهات محاولا أن ينقذه القدر من الفلوس ويستنجد بها.

— ألو. ألو. أنا حسن يا آمال قلت لى أكلمك.

آمال : أهلا حسن ما علش أنا مشغولة شوية وإننت عارف إنى ست متجوزة وزوجى يغار علىّ بشدة. أنا آسفة جدا ساعدتك تخرج من هناك ودى طاقتى دلوقتى. سامحنى.

أغلق الموبايل بسرعة قبل أن يتخطى الدقيقة الثانية وبرغم ذلك تم سرقة بالفعل فى عدد الدقائق. أعطاه ما فى جيبه وراح يجلس فى جزيرة الميدان كالعادة ويفكر ماذا يفعل؟ وقبل انتهاء الساعة وهو فى غفوته أفاق على أحد الأشخاص يفزعه بالخروج من المكان من أجل أن يفرش بضاعته وظهرت عليه علامات البلطجة والتشرد. نعم فهو من أبناء الميدان الأسطورى.

ذهب يتحرك يمينا ويسارا يبحث عن أى طعام ولمح على البعد رغيفا مرميا على الأرض. حاول التقاطه مسرعا لكن كلبا سبقه إلى ذلك.

هنا فاضت عيناه بالبكاء وهو مكلوم.

ذهب إلى سوق المستعمل القريب لبيع بعض ملابسه ورأى الجشع والطمع من الجميع وأسلم أمره إلى الله.

هنا تجمع لديه بعض الجنيهات الوفيرة لطعامه. وما إن انتهى توجه إلى محطة القطار قاصدا الإسكندرية حيث

بعض الصداقات القديمة وبعض الآمال الجديدة فى فرصة عمل وسكن واستقرار.

وصل محطة المنشية فجرا وجلس حتى أشرق الصباح ثم ذهب لوائى منسى فقد كان صديقه فى أوروبا لفترة ليست بالقليلة. تقابلا وعلم كل منهما موقف الآخر من العيش بمصر ودبر له إقامة معقولة وذهب به صباح اليوم التالى لمصنع للألمونيوم بمنطقة الجمرك. كى يعمل مساعدا بشكل مؤقت لحين تدبير الأحوال.

وبحمد الله تم ترسية إحدى القواعد العسكرية وأعمال التشطيبات للشركة التى يعمل بها وأسند إليه الإشراف على الموقع بعد ظهوره بمستوى مرضٍ لإدارة الشركة. وبعدها تحمل الكثير فى هذا العمل لدرجة أن شدة الرياح كانت تقتلع قدميه من الطريق. انتهت العملية وادخر مبلغا لا بأس به. وعاد للقاهرة مرة أخرى.

استأجر إحدى الورش المجهزة بحمام داخلي وغرفة  
للمبيت فى أحد المناطق الصناعية بالقرب من إحدى  
أخواته بالقاهرة.

وذات يوم عند باب المحل. إذ بامرأة منتقبة تسأله؟

— هو حضرتك حسن اللي كلمتنى عنك الحاجة ميرفت؟

— أيوه أنا.

— طب والنبي مش عارفة أفتح باب العيادة خايفة الدكتور

ييجى والمرضى والباب مقفول. لو تسمح افتح لى الباب

وأول الدكتور ييجى هيحاسبك على طول.

— ماشى يا حاجة بس فين العيادة؟

— تعالى معايا وراك هنا طوالى بس تعالى تعالى.

وكادت أن تشده من يديه وهى تقول:

الحاجة ميرفت بتشكر فيك قوى وبتقول أخلاقك عالية

ومؤدب ومحترم.

حسن : الله يخليك ده بس من ذوقك.

هى : طب ولادك فين ومراتك؟ سامعة إنك بتنام فى  
المحل.

حسن : أمر الله. ربنا يسهل ونلاقى بنت الحلال ونتلم  
ف بيت ونستقر. تعبنا والله .

وهو يعمل بكلتا يديه وفتح الباب وأدخلها وهى تصمم على  
شربه الشاى أو القهوة وعلى مضض وافق على استضافتها.

تحدثا وتحدثت هى أكثر وقالت :

— منهم لله اللى جابونى للمرمطة دى. أنا موظفة محترمة  
فى حى الخليفة وبآجى العيادة بس تضييع وقت بدلا  
من قعدتى وحدى بعد الشغل. طلقنى ورمانى نص  
الليل الله لا يسامحه ونفسى أشوف ولادى مش عارفة.  
وأهلى مقاطعنى. مش عارف أعمل إيه لوحدى ، ولولا  
نصيبى من ميراث أبويا واللى أخذت نصه كان زمانى  
فى الشارع. شوف بقى واحدة ست فى الشارع ممكن  
يحصل لها إيه؟

وأجهشت بالبكاء وهو يربت على كتفها:

— صلى ع النبي.

بل قبلها فوق رأسها لتسكت قبل أن يأتى أى أحد  
وتنشأ مشكلة لا يعلمها إلا الله.  
وانصرف مسرعا.

بعد ثلاثة أيام تقريبا وجدها تنتظره مرة أخرى وقد عرف  
اسمها من الحاجة ميرفت، فقد حكى له عنها متأثرة جدا  
بحالتها، وكانت تتمنى أن تتزوج ليؤنس زوجها وحشتها.

— أهلا مدام وفاء. خير

وفاء: ماعلش هاتقل عليك عندى مشكلة فى البيت  
ومش لاقية حد وماحبش حد غريب يدخل بيتى وأنا  
لوحدى. دولاب المطبخ وقع وحاجات تانية كتيرة. شوف  
حسب وقتك.

حسن : تمام هاجى لك بعد العيادة إن شاء الله.

وفاء: أنا هعدى عليك آخذك ونطلع سوا ماعلش الدور  
الخامس والأسانسير عطلان وأنت ماشاء الله لسة شباب.

حسن: ولا يهملك فى انتظارك.

وبعد أن ذهبت بدأ يفكر فى تلك السيدة. ماذا تريد؟  
وهل تناسبنى؟ هى متزوجة من قبل ومطلقة. هل سيشمت  
بى الجميع لو تزوجتها؟

وفى العاشرة مساء سمع صوتها تنادية من بعيد. أنا  
طالعة فوق ياريت تحصلنى بسرعة. وأغلق حسن باب محله  
على عجل ولحق بها على السلم وأخذ ما كانت تحمله  
من أثقال. وشكرته على ذلك ثم قالت بصوتها المبحوح من  
تعبها لصعود السلم. فقد كانت ف الأربعين من عمرها:

— أنا كنت باتمنى طول عمرى واحد شهم يشيل عنى كل  
أحمال الدنيا. باين كده ربنا استجاب لدعائى.

ضاحكة مستبشرة.

فتحت وفاء باب الشقة وهى متعبة وبعد أن دخلت  
ارتمت على الكذبة التى تجاور الباب مباشرة.

فهمهم حسن بصوت خفيض:

— واضح إنك تعبانة بجد.

وفاء: نشرب حاجة الأول ولا انت جعان عندى أكل  
جاهز هيعجبك عارفة إنك محروم من الأكل البيتى وحاجات  
تانية. يا صبرك!

— لا كفاية أشرب شاي وفين الشغل فى المطبخ برضة. صح.  
وفاء: تعالى تعالى بلاش تعقيد.

وبدأ العمل وهى تجهز كوبا من الشاي واحتك بها  
واحتكت به. المكان ضيق. هل هى تقصد ذلك؟

لم يتمالك حسن عند تلك اللحظة وضمها من خلفها  
واطبق عليها حتى التصقا تماما وهو يلعب فى أذنيها  
ويقبلها فى رقبتها رن جرس الباب.

— ياه إيه الغلاسة دى؟

حسن: بصراحة جه فى معاده كنا هنتهور أكثر.

تمالكت نفسها وفتحت الباب إذا بجارتها فى الشقة  
المقابلة أم مايكل:

- خير يأم أحمد أنا سمعت خبط ورقع عندك.
- أهلا حبيبتي. أبدا ده حسن النجار بيصلح لى المطبخ لو  
عايزاه فى حاجة أبعته لك لما يخلص.
- لا يا اختى ده أبو مايكل بيعمل كل حاجة. سلام سلام.  
وعادت لحسن وقد هدأ وبردت عروقه وانتهى من عمله  
بسرعة كى يخرج مسرعا قبل أن تقع الفاس فى الراس.  
حسن: كله تمام كدة وأى حاجة تانية بعدين بعدين..

قال ذلك بتوتر واضح.

وفاء: لا لسة بدرى طب أقعد معايا نتكلم شوية أنا زهقانة.  
وجلس حسن ومشاعره تؤنبيه وتؤججه.

حسن : بصى أنا هاجيب م الآخر. إنت عايشة لوحدهك  
وتعبانة وأنا كمان. مش هاقدر ألسك قبل ماتكونى مراتى  
ماليش فى البطال ولا باحب الشمال.

وفاء: موافقة طبعاً. أنا هالاقى حد فى حنيتك يا حسن  
ورجولتك وشهامتك. بس أهلى ممكن يعاكسوا وأنا هاكلّم  
أخويا حالاً بيجى.

ودخلت غرفة نومها وأغلقت الباب لتحدث أخيها فى  
الأمر وخرجت بعد دقائق قليلة شاحبة حزينة.

حسن : متزعليش نفسك. ماحدث فاضى لحد ولا حد  
هيحس بحد. إخواتى كده برضه. عندك ورقة وقلم؟

وفاء : خير هتكتب إيه؟

حسن : هاتى بس الورق والقلم.

كتب حسن عقد زواج عرفى. واتفقا على العهد والإخلاص  
ووقعوا عليه.

عادت الابتسامة لوجهه وفاء وحسن أيضا وبدأ بالفعل  
مراسم الزواج والمعاشرة.

جرته للحمام واغتسلا معا باستمتاع وأهدته جلبابا أبيض  
جميلا وملابس داخلية كانت أحضرتها لأخيها أثناء ذهابها  
للعمره العام الماضى.

وكانت ليلة مثمرة وغنية بمشاعر الشوق والحنين والغرام  
بعد أن قذف بها وقذفت به أمواجاً من الرحيق العذب.

ناما ليلتهما بعد أن أكلا وشربا وضحكا واستسلما للنوم  
بقلوب راضية.

عند نزول حسن صباحا قال لها :

— رتبى أحوالك ولا بد من إعلان الجيران وأهلك بأننا  
تزوجنا على سنة الله ورسوله وإن أرادا توثيق العقد لا  
مانع عندي.

وفاء : طبعا حسنوتى أنا ناوية أعمل كدة برضه عشان  
تيجى تعيش معايا براحتك وتدفع عنى الإيجار والمصاريف

مش جوزى برضه وراجلى وسندى. بس بلاش توثيق العقد  
دلوقتى. خليها لظروفها.

حسن : اللى تحبيه ياروحى.

وقبلها على جبينها واحتضنها وهو يودعها.

بعد اسبوع علمت العائلتان بالخبر. فمنهم من فرح  
ومنهم من حزن. ولا جدوى من ذلك حسب قناعة حسن  
ووفاء . وامتدت الأيام والشهور وهم فى أسعد الأحوال،  
يحاول حسن استكمال الأثاث المتبقى فى الشقة وأيضا  
دهان الحوائط وغيرها من الكماليات وهو سعيد وهى أيضا.  
شعرت أخيرا أنها لأول مرت أحببت رجلا.

أثناء تلك الحياة المفعمة بالود والحنان رن هاتف المنزل.

— أيوه يا ماما. انتِ واحشانى جدا وألف ألف مبروك.  
سماح تقول .

وفاء : ازيك يابنتى يا حبيبتى الله يبارك فيك وعقبالك  
ياسكرة أنا مبسوطة لأنك سألتِ عنى أخيرا .

سماح : أبدا ياماما انتِ عارفة بابا وعمائله وعموما أنا  
جاية أقعد عندك شوية عندي دورات بالقاهرة ومش هاقدر  
أروح عند غادة لأن جوزها غتت ومش باحبه.

وفاء. أهلا وسهلا طبعاً. ده حتى عمك حسن هيفرح  
قوى. خدى كلميه.

وألقت السماعه لحسن دون سابق تنبيه.

حسن : أهلا وسهلا يابنتي دي مفاجأة فعلاً. تأنسى  
وتنورى ده بيتك طبعاً.

سماح : بجد بجد أنا فرحانة قوى. شكرا ليك يا عمو.  
وأغلقت الهاتف.

بعد بضعة أيام هربت سماح من منزل أبيها فى إحدى  
قرى المنوفية واتصلت بوفاء أمها وعلى الفور استعد حسن  
وذهب مسرعا ليحضرها من المحطة وانتظر كثيرا والقلق  
يتزايد بين اتصالات أختها وأمها. لدرجة أن والدها تحدث

إليه دون سابق معرفة وطمأنه عليها وأكد له أنها مثل ابنته تماما.

أخيرا التقى حسن سماح مضطربة باكية من غرابة الموقف الآن. طمأنها وربت على كتفها. جميلة رائعة واعدة فقبلته واحتضنته بشدة من فرط رهافة حسه وشعوره. وانطلقا عائدين للمنزل حيث وفاء وأختها. البكاء حاضر المشهد فترك لهما حسن المكان ليصفو لهما العتاب والعناق وغيره من الأمور العائلية.

ذات مساء عاد حسن مبكرا للمنزل على أثر نوبة برد ألمت به فاستقبلته سماح بملابسها الشفافة بقبلة على جبينه.

— أهلا أهلا يا عمو.

حسن : آمال فين ماما؟

سماح : عند غادة أختى. اتخانقت هي وإيهاب تانى. براحتها. أنا نفسى أتكلم معاك. أنا حاسة انك هتفهمنى غير بابا وأمى واضح أنك مثقف وواعى.

حسن : خير يا بنتى!؟

سماح : شوف بقى يا أبو على م الآخر كدة أنا عايز  
اشتغل مذيعة والدورة دى عشان كدة وأنا عرفت أنك ممكن  
تساعدنى.

حسن : طبعا أنا مش هتأخر على قد ما أقدر.

فى اليوم التالى ذهب حسن فرحا مسرورا لسور الأزبكية  
واشترى مجموعة من الكتب والأسطوانات التى تخص كل  
اهتمامات سماح وكأنها ابنته بالفعل.

فرحت سماح كثيرا وشكرته وأيضا زوجته وفاء.

فبادرهم حسن بقولته الشهيرة:

— المهم ألا تقدمى على أى عمل دون علمى أو توقعى عقودا  
أو اتفاقات بمفردك.

وأشار إلى وفاء:

— وهذه أمك تشاركني أيضا في هذا الاتجاه.

موبايل حسن يدق بالمحل.

وفاء : أنا خارجة أنا وسماح رايحين مشوار لزيارة  
واحدة صاحبتها، وممكن نتأخر شوية مش تقلق.

حسن : بألف سلامة وطمنوننا وبرضه بلاش تتأخروا.

الثانية عشر مساء. ينتظر حسن فى مدخل العمارة.  
كل الهواتف مغلقة. وفجأة تقف سيارة وتنزل وفاء بدون  
نقابها المعتاد ومعها سماح على أصوات وضحكات أسمعت  
الجميع. استغرب كثيرا ووقف مذهولا.

عندما رآته وفاء غطت وجهها مسرعة لتخفى الماكياج  
والمساحيق والروح الأحمر فاقع اللون .

سماح : معلىش يا عمواتأخرنا شوية. دة زميلى وأصر  
يوصلنا.

وبعد صعودهم للشقة.

وفاء. بصراحة كنا فى فرح وكان لازم أكشف وشى وأنت عارف الحريم وعمائلهم يأبو على. معلش أنا آسفة آسفة. سماح : عادى ياماما عادى. ياريت تقلعى النقاب خالص. وأنا بصراحة لازم أقول لعمو الحقيقة. بص ياأبو على : دة محمد حسن المخرج المشهور فى راديو أف أم. وأنا كتبت عقد معاه وكان الوقت ضيق ومعرفتش أتصل ببيك وكانت أمى معايا بأى حال. هه هتقول مبروك ولا زعلان ياأبو على.

حسن والغصة فى حلقة :

— طبعا ألف مبروك. لكن وجودك فى البيت له أصوله وضوابطه أنا وعدت والدك بكده. وأنا وأمك كنا مرتاحين بصراحة قبل ماتيجى. ومنعا للمشاكل انتِ حرة ف حياتك لكن فى بيتك. أنا لى اسم فى المنطقة ومعروف

عنى الحكمة والوقار وأكد هيسألونى مين دى وليه بتلبس  
محزق وملزق ومين اللى بيوصلها كل يوم وش الفجر.  
مستكملا :

— بصى يا بنتى. أرجوكِ ياريت ماتعمليش مشاكل بينى  
وبين أمك الغلبانة.

سماح ترفع صوتها لأول مرة وتظهر وجهها الحقيقى :

— لا اسمع بقى ياعمنا. ده بيتنا وبيتى أنا كمان. انت  
اللى ضيف هنا. ولو سمحت مش تتدخل فى حياتى.  
عايز تعيش معانا أهلا وسهلا. مش عايز. انت حر  
وتقف وفاء حائرة فى صراع لم تشهده من قبل بين  
حبيبها وزوجها التى انتظرتة سنوات وبين ابنتها المدللة  
الجميلة والتى تعدها دائما بانفراجة قريبة فى الحياة.  
حسن موجهها صوته المتألم لوفاء :

— إيه رأيك يا حاجة فى اللى بتقوله بنتك؟

لم ترد أبدا أبدا ودخلت غرفتها باكية تبهر في دموع  
الصراع.

وقف حسن على باب غرفتها قائلاً بأعلى صوت:

— أنت طالق ياوفاء مليون مرة.

وللم بعض الأشياء الخاصة به، وعاد ليكمل ليلته في  
المحل حتى يأذن الله بفجر جديد. وجلس يؤنب نفسه  
تارة، ويكون على أتم القناعة لما فعل مرة أخرى. إنها  
فعلاً ابنة الشيطان ولاسماح فيها، جاءت لتخرب البيت  
وتطرد السعادة.

بدأ يومه التالي بجد ونشاط كعادته وانشغل بالعمل  
وأحضرت زوجة البواب حقيبتة من شقة مطلقتة وفاء  
وبذلك يكون قد طوى تلك الصفحة بلا رجعة.

عاد يعمل كما تعود على الجد والانضباط حتى فاتح  
أخته يوماً ما أنه يريد الزواج والاستقرار لتبحث له عن  
خطيبة بين صديقاتها في العمل.

وأسرعت الأخت بتلبية طلبه دون التحقق من توافر شروطه فى العروس وكانت تتمنى دائما أن يفرح حسن ويرزقه الله بالذرية الصالحة.

جميلة وبعد أن فاتها قطار الزواج ووصل عمرها للتاسع والعشرين وحيدة على خمسة رجال. موظفة. والدها بمركز مرموق. والدتها تقود العائلة الكبيرة باحتراف.

ذهب هو وأخته لرؤية العروس فى منزل أبيها الموظف ذى الرأس الكبير. أعاد تلاوة ظروفه وأحواله المالية أمام الجميع. إذ لم يتحرج من ذلك أبدا. ولكى يبدأ الاتفاق بحسن نية وشروط مقبولة من الطرفين.

فما كان من الأب إلا الموافقة بقولته :  
- ياابنى احنا بنشترى راجل وسيماهم فى وجوههم المهم  
ألا يكون لك أى نشاط سياسى أو علاقة بأى جماعات مثل  
الإخوان وغيرها، وأتمنى أن تحلق لحيتك فمازلت صغيرا ولا  
أجد داعيا الآن لها.

علم حسن بعد ذلك أن الرجل كان عضواً فى الحزب الشيوعى المصرى، وأفكاره بعيدة كثيراً عن الاعتدال أيضاً خصوصاً أن هؤلاء دائماً يرددون شعارات وحسب. ولا يهمننا فى تلك الزيجة الانتماءات السياسية أمام طريقه للسعادة والزواج. اتفق الجميع على موعد الخطبة وقراءة الفاتحة والاتفاق على باقى التفاصيل، ففوجئ بأم العروس تطلب منهم أن يعقدوا القران فى ليلة واحدة فى دار الإفتاء حيث يتم استقبال المهنيين هناك بأريحية أكثر والمكان متوفر للجميع. وقبل الذهاب للدار قام حسن بتوقيع قائمة العفش الذى لم يأت بعد وكانت قيمتها كبيرة جداً. وامتعض حسن وشعر أنه تورط إذ لا طاقة له بذلك خصوصاً وأنه لم يتمكن من دراسة الموقف جيداً حتى الآن. انطلقا العروسان فى سيارة أبيها المحملة بالزينة والورود وتم عقد القران بسلام وأمان دون أية مشكلات تذكر.

كان حسن قد أخذ على عاتقه تدبير منزل الزوجية بعقد بالقانون الجديد فى حى متوسط ويناسب ظروفه المالية ووعد بتاريخ انتهائه من ذلك. إلا أن استعجالهم الدائم وترديد مقولة: إيه عملت إيه يا حسن فى الشقة من أم العروس كادت أن تخطف أنفاسه ضيقا. ويكرر: أنا ملتزم بالموعد لا تقلقى يا حلماتى العزيزة. اتصلت العروس بحسن وأبلغته أن أمها قد أعدت له عشاء فاخرا يليق بهما وأصرت على حضوره. وبعد العشاء بدأ الجميع فى الانصراف الأب للنوم والأخوة للسهر والخروج والأم جلست قليلا تشاهد البرامج السخيفة ثم اتجهت الى غرفة النوم لترافق الرجل. وانفرد حسن والعروس لأول مرة.

فى إحدى شرفات المنزل العتيق على ضفاف فرع من النيل العظيم بحى المنيل بالقاهرة. كان الجو حالما وهادئا. وأخرج كل منهما ما فى جعبته من أسرار وحكايات وتأخر

الوقت عن موعد انصرافه فعرضت عليه المبيت وأحضرت له جلبابا فضفاضا أقرب للحريير وخلع ملابسه وانخلع وراءها الكسوف والخجل.

جلسا على أريكة الشرفة ملتصقين إلى أن قبلها وقبلته ثم تمكن منها وهى فى غاية الذوبان والتأوه حتى انتصبت جميع أعضائه وحملها على الأريكة بالداخل وأمضيا وقتا طويلا بين الرغبة والغرام والآهات حتى وجد على ملابسه بقعة من الدم. ففرع حسن وتوقف وحاول الانصراف سريعا. ولكن العروس هدأت من روعه لانتظر حتى الصباح، وكان فى نظرتها ترقب وذهول من موقف حسن وكأنها تنتظر رد الفعل والنتيجة.

وكالعادة أيام تذهب وأيام تأتى بغرائب الأحوال.

كان حفلا للعشاء وفيرا شهيا لذيذا فى منزل العروس، وانصرف الجميع ودخل أمها غرفة نومها. وتبادلا العناق كما الزوجين، وهما بالفعل أزواج لكن فى هذه المرة كانت

مختلفة تلبس قميصا رائعا يبرز مفاتها وأنوثتها الطاغية  
أكمل نصف الليل فى غمرة عشقها.

وفجأة دخل وليد أخو العروس متعذرا بأنه يحسبها  
منفرده لحالها وهنا انقطعت الفكرة وذهبت النشوة وانتصب  
حسن واقفا وخرج إلى شرفة المنزل.

وعاجلته هى بألا يخاف من أخيها، فهو يحسن تقدير  
الأمر ولا ضرر فى ذلك.

انتظر حتى الصباح وذهب لعمله وقبل نهاية اليوم بقليل  
رن هاتفه والمتحدثة ولأول مرة هى حماته الشخصية القوية  
التي تحكم العائلات بمفردها قائلة :

— تجينى يا حسن النهاردة ضرورى.

حسن بخوف : حاضر هو أنا أقدر أتأخر .

وهو فى الطريق :

— ياترى عرفت حاجة ولا انكشفت المسألة؟ ربنا يستر.

صعد مسرعا يجر قدميه .

السلام عليكم . خير حماتي . آمال فين عروستي ؟

حماته : خليك معايا الأول وركز قوى فى كل اللى هاقله .

حسن : حاضر حماتي حاضر .

حماته : كان جدى الله يرحمه الشيخ الجبروت واحد من شيوخ الصوفية الكبار ولما جه يبنى البيت ده ردم على الجن تحته ومن يومها وحال البنات متبهدل ومتعثر وأنت عاشر عريس يبجى ، والحمد لله أنك كتبت الكتاب وبقت مراتك وممكن تعيشوا معايا هنا . وعشان ماتقلقش . الدم اللى شفته ده مش دم البكارة . لأنها متزوجة من جان بسم الله الرحمن الرحيم وباسم أيام كثير وهو نايم معاها واحنا بصراحة إديناك الفرصة عشان تقدر تنهى المسألة دى . انت الوحيد اللى قدرت تكسره عفارم عليك حسن وليك عندي مكافأة كبيرة .

حسن فى ذهول : معقول الكلام ده . طب نروح لدكتور يكشف عليها ونتأكد .

حماته فى لهفة وتعجل : رحنا ياابنى كتير وكمان  
لدجالين وسحرة وكله أكد الكلام ده. أنا مش هاقدر اضغط  
عليك انت حر. لكن أنا عشمانة فى شهامتك ورجولتك.  
إيه رأيك نعلن الزفاف ونعمل فرح صغير كده. وبعدها  
اعمل اللي انت عايزة.

حسن : طيب ادينى فرصة بس ياحماتى أراجع نفسى  
وبكرة أرد عليكِ بإذن الله.

حسن عند وصوله للأريكة التى ينام عليها بالمحل :

— يعنى ياربى أنا موعود من ثلاثين سنة بالأعيب  
ومداعبات شيطانية بنت جزمة. أنا زهقت. هو فيه  
إيه؟ هو فيه إيه؟

ويضرب رأسه فى الحائط المجاور. حتى سمع صوت  
الفجر وهو فى غفلته الناعسة. جلس ثم نهض فتوضأ  
وخرج للصلاة فى المسجد المجاور.

وبعد الصلاة التقى الإمام وحكى له قصته فأشار عليه بأن يستر عرض العروس أيا كانت الأسباب، وأوصاه بأن يصلى الاستخارة قبل قراره.

انصرف الجميع وجلس حسن يناجى ربه ويستخير عبر الركعتين ودعا لنفسه بالهداية والقبول.

اتصل حسن مساء بحماته وطلب منها أن تعلن الزفاف شرط أن يطلقها فى أقرب وقت ممكن. ووافقت بقولها: محدش عارف فيه إيه بكرة. لعله خير.

وفى ليلة الزفاف وقبل أن ينشغل الجميع بملذاته. قبلت العروس قدمى زوجها حسن ممتنة وأقرت وأقسمت بأنها تحبة وتتمنى ألا يتركها أبدا.

حسن يطبب عليها ويحتضنها منقذا لها من البكاء والمذلة. ويأخذ بيدها لتقف على قدميها قائلا:

— هذا أمر الله ولا راد لقضائه، لكن مع الأسف من الآن أنت طالق. ولن نلتقى أبدا بعد ذلك. وبعد ثلاثة أشهر

سأرسل لك ورقتك بعد أن تتنازلوا عن حقوقك فى  
القائمة والعفش الذى لم يأت بعد. ولكِ فقط فى ذمتى  
وضميرى نفقة المتعة حسب الشرع والقانون وفى الغالب  
سيكون مبلغا مجمدا.

استمرت فى البكاء وانهارت وأفاقها وطمأنها بأن فرص  
الحياة لا تتوقف أبدا.

قامت ثورة يناير، وكادت أن تغير الكثير فى حسن  
وشباب آخرين فى نفس ظروفه وموقفه من عروسه الأخير.  
لكن الاحتياىال للوصول للسلطة أضاع كل الآمال، ودخول  
الإخوان من أوسع الأبواب جر مصر لويلات كثيرة لم يعد  
أحد يتحملها.

وبعد أن تم تعديل مسار الثورة بواسطة نشطاء وطامعى السلطة  
من أبناء النظام القديم عادت مصر لأسوا ما كانت عليه.  
الكل يتربق متى يصل قارب النجاة للجميع.

وفى بوعده ووقع ورقة طلاقها وأرسل مظروفا بالمبلغ  
المتفق عليه بواسطة خال العروس الذى كان يأمل فى عودة  
الأمر لنصابها الصحيح.

لكن حسن اسود قلبه وعميت بصيرته وأغلق مصالحة  
فى مصر، وعاود الهروب والهجرة من جديد فى أوربا  
الحالة حيث صدق المعاملة والتفانى وتقدير العمل والكفاءة  
ودولة المدنية والقانون للجميع. لا صراعات. فقط منافسات  
من أجل التفوق والإبداع.  
نودع حسن للمرة الأخيرة.

تمت بحمد الله

obeikandi.com

## الكاتب فى سطور

من مواليد عام ١٩٦١

تخرج فى كلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٨٤

عمل بالحكومة لفترة لا تتعدى خمسة سنوات

تفرغ للعمل الخاص داخل وخارج مصر ثم عاد لأرض الوطن

بالمجموعة المصرية للتنمية السياحية

لم يتأثر بالضغوط التى مورست لإقصاء الرأى

ساهم فى إعداد قانون الرهن العقارى فى إصداره الأول

ساهم فى إنشاء مجموعات توعية ثقافية سياسية بعد

ثورة يناير

تبنى مع آخرين فكرة إنشاء نقابة للصحفيين والإعلاميين

الإلكترونية

ساهم فى العديد من الفعاليات والندوات والصالونات الثقافية  
دراسات الأمن الإقتصادى والتنمية  
دراسات الخبرة العقارية والتثمين  
دراسات الإعلام وفنون الإتصال  
عضو الجمعية الوطنية للمصريين  
عضو الإتحاد الدولى للصحافة العربية  
عضو الجمعية المصرية العربية للثقافة والفنون والإعلام  
من أعماله ( الحب فوق هضبة الفيس بوك ) مجموعة قصصية  
توثيق من خلال مقال يومى ( شاهد على الثورة ) تحت الطبع  
عمل ببعض المواقع الإخبارية والصحف والقنوات بالتحريير  
وإعداد البرامج  
بوابة مصر ١١ / شبكة ماجوجا الإخبارية / جريدة العالم  
الحر / بوابة العربى اليوم